فكر ونهضة

أدبيات النهوض

الإمام الخامنئي (حفظه الله)

الغرب: الشباب في معركة المصير

ترجمة: عباس نور الدين





الغرب:
الشباب في معركة المصير

الغرب:
الشباب في معركة المصير

الإمام الخامنئي
(حفظه الله)

ترجمة:
عباس نور الدين

تحقيق وتدوين:
معاونية التحقيق والتعليم

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-062-3

[٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ]



العنوان: لبنان - بيروت - سان تيريز - سنتر يحفوفي - بلوك c - ط ٣
تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ - email: almaaref@shurouk.org

تصميم:



إخراج فني

إبراهيم شحوري

طباعة

DBOUK 00961 3 336218

شركة دبوق العالمية للطباعة والتجارة العامة ش.م.م.

info@dboukart.com




بسم الله الرحمن الرحيم





المحتويات














مقدّمة الناشر

شكلت الثورة المعلوماتية تحديًا حقيقيًّا، فهي استطاعت أن تعبر بالإنسان إلى عالم رقميّ، يتخطّى الحدود الطبيعيّة والسياسيّة والثقافيّة، وهو ما ألقى بثقله على المجموعات الحضاريّة، التي يشكّل الإسلام محورًا أساسيًّا فيها. ممّا أثار كثيرًا من الأسئلة عن كيفيّة التعاطي معها، في ظلّ عالم يحاول أن يشوّه إنجازات هذا الدين القيّم، ليظهره على خلاف طبيعته الحقيقيّة، لاستيعابه أو منعه من تحقيق أهدافه العليا الساعية إلى خلاص البشريّة. لذلك، لا يمكن الوقوف مكتوفي الأيدي، بل لا بدّ من العمل الدؤوب لإظهار ما في الإسلام من قيمٍ ومبادئ إلهيّة تسعى لإخراج الإنسان من نير عبوديّة غيره إلى عبادة الواحد الأحد. وهذا ما أراده الإمام الخامنئي (حفظه الله) حين خطّ رسالته لشباب أوروبا وأميركا الشماليّة، هذه الرسالة التي حملت همّ البشريّة، ودعت الآخر بما هو شريك حقيقيّ للتبصّر بالتجربة الإنسانيّة دون عصبيّة بغضّ النظر عن العرق واللون والدين والمذهب، وانطلق الإمام (حفظه الله) من مبادئه المستقاة من النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله) وأهل بيته.

يشكّل الكتاب الذي بين أيدينا خطوة على درب الدعوة إلى الله. ودار المعارف الحكميّة إذ أخذ على عاتقه ترجمة نصّ الرسالة وشرحها، يسعى من خلال عمله هذا تعميم فائدتها،





لما لها من أهميّة رساليّة، يأمل أن تعمّ فائدتها شريحة شبابيّة أكبر من أوروبا وأمريكا، كما يتمنّى أن تساهم هذه الرسالة في توضيح بعض الأمور الملتبسة، والتي شوّهت حقيقة الإسلام.

كتب الإمام الخامنئي رسالته هذه بتاريخ ١٣٩٣/١١/١ هـ. ش أي ما يوافق ٢٠١٥/١/٢١ بعد سلسلة من الأحداث المسلّحة في باريس، ابتدأت بالهجوم على مكتب مجلّة "شارلي إيبدو" في العاصمة الفرنسيّة باريس بتاريخ ٧ كانون الثاني ٢٠١٥، وأخرى مماثلة وقعت في كوبنهاغن على خلفيّة الكاريكاتور المسيء للنبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، وما خلّفه هذا الأمر من بثّ مشاعر الكراهيّة ضدّ الإسلام، استفادت منه القوى المعادية للإسلام في الولايات المتّحدة الأمريكيّة وأوروبا لبثّ روح العداء للإسلام، وإظهاره كديانة عنيفة، لا تقيم وزنًا للإنسان، وسعت من خلال ذلك إلى إظهاره كدين دخيل على المجتمعات من أجل محاربته وإخراجه من الساحات والنفوس.

هذا كلّه، دفع قائد الثورة الإسلاميّة بما يحمل في قلبه ووجدانه من همّ رساليّ إلى مخاطبة الشعوب الغربيّة لا سيّما الشباب منهم في أوروبا وأميركا الشماليّة، ودعاهم إلى إيقاظ حسّ البحث عن الحقيقة في قلوبهم، هذا الحسّ الذي أراد له الأميركيّ أن يبقى مطموسًا لتبقى صورة الإسلام مشوّهة وخاطئة في أذهانهم. وقد اتكأ الإمام (حفظه الله) إلى أهميّة العنصر الشبابيّ في البحث والملاحظة والدقّة والقدرة على تحليل الأمور بعيدًا عمّا يجري حوله من أحداث. ودعاهم للتعرّف على

الإسلام من منابعه الأصليّة: القرآن الكريم والنبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) واستحضار التاريخ النبويّ وما فيه من مثل وقيم بالتعامل مع الآخر حتّى المخالف بالدين والرأي، ليستطيعوا أن يحكموا بموضوعيّة وبتجرّد عمّا جاء به الدين الحنيف.

وأراد الإمام (حفظه الله) من خلال توجيهه الشباب الغربيّ، إلى تنبيههم بأنّ التيّار التكفيريّ بجميع مسمّياته لا يمثّل الإسلام، بل هو براء من مثل هذه التوجّهات التي تخدش صورته الرحمانيّة، وتقدّمه على خلاف حقيقته، وتوجد رهابًا منه عند من لا يعرفون الإسلام عن قرب. فهذا التيّار يواجه الجميع، وهو ليس معاديًا للشيعة فحسب، بل هو يواجه كلّ من يخالفه حتّى أولئك الذين ساهموا في تغذيته وإذكائه.

وأكّد (حفظه الله) على أنّ البشريّة اليوم بأمسّ الحاجة لقضيّتين مهمّتين: إحداهما إثارة الأفكار، والثانية تهذيب الأخلاق؛ فلو تأمّنت هاتان المسألتان، فسوف تتأمّن المطالب القديمة للبشريّة؛ وسوف تتأمّن العدالة والسعادة والرفاه الدنيويّ.

نأمل أن يؤدّي هذا الكتاب الهدف المرجوّ من نشره وأن يكون خطوة صادقة نحو التلاقي مع الآخر وفسح المجال للحوار وإيجاد النقاط المشتركة.

والله من وراء المقصد

سكينة أبو حمدان





المقدّمة

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[1]،

كانت الثورة الإسلاميّة في إيران بقيادة الإمام الخمينيّ (رحمه الله) بمثابة تجديد حياة الإسلام المحمّديّ الأصيل في عصرنا الحاضر، وبعث تيّارٍ فكريٍّ فطريٍّ وعقلانيٍّ مقابل تيّار الحداثة المهيمن على الدنيا. لقد كان استمرار هذا التيّار الأصيل والربّانيّ في ذهنيّة وحركيّة تصدير الثورة الإسلاميّة بمعنى نشر الفكر الإسلاميّ الأصيل في العالم المعاصر، وقد ظهر ذلك في أفكار الإمام الخمينيّ وخطابه وسلوكه. وبالرغم من تآمر جبهة الهيمنة والتسلّط، وبالرغم من تيّار الغزو الثقافيّ ضدّ الثورة الإسلاميّة، فإنّه بعد مرور ثلاثة عقود صاخبة مليئة بالأحداث وجدنا أنّ الشعوب ترحب بهذا الخطاب على طريق الصحوة الإسلاميّة الجديدة التي تطوي مسيرة التقدّم والوعي والانتشار.

وها نحن اليوم نعيش في مخاض نظامٍ عالميّ تتفاعل فيه مقاومة الإسلام الأصيل، لتشكّل في النهاية وضعًا مصيريًّا في مواجهة كلّ تلك المؤامرات التي تُحاك ضدّها، ومنها مؤامرة تشويه الإسلام وإظهاره عنيفًا متحجّرًا بعيدًا عن المنطق والعقل. وفي ظلّ كل هذا التلاطم، مثّلت رسالة آية الله العظمى الخامنئيّ دامت

١ | سورة الرعد، الآية ١٧.





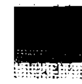

بركاته، بعمقها وحكمتها حينما صدرت في شهر بهمن ١٣٩٣ وهي تخاطب الشباب في أوروبا وأمريكا الشماليّة، نقطة عطفٍ في مواجهة هذه المؤامرات، مفسحةً المجال أمام تفكيرٍ جديد في أجواء هذه الحالة التي تنشر رهاب الإسلام[١] والرعب منه، من أجل إيجاد فرصة حقيقيّة للبحث والتفكّر.

وها هو المجال أمام كلّ المؤسّسات، وكلّ مهتمٍّ بالثقافة والفكر داخل الجبهة الثقافيّة للثورة الإسلاميّة متاح للاستفادة من هذه الفرصة الإلهيّة عبر تسليط الضوء على مضمون هذه الرسالة المناشدة للعدالة وحريّة الفكر، لجعلها ذخيرةً معنويّةً ونقطة انطلاقٍ جادّة على طريق نشر الثقافة الواقعيّة للثورة الإسلاميّة على مستوى العالم.

إنّ هذه الرسالة ورغم قصرها تضمّنت مفاهيم عميقة، وهي تفسح المجال أمام أبحاث مهمّة فيما يتعلّق بالإسلام والغرب. ولهذا، أردنا في هذا الشرح الإجماليّ أن نقدّم كتابًا يساهم في الجانب التعليميّ لكلّ المهتمّين في مباحث الثورة الإسلاميّة ومعارفها، عسى أن تكون مثل هذه المدوّنات الشارحة مساهمةً نافعة لإيصال رسالة الثورة والإسلام الأصيل، وتحقيق أهداف هذه الرسالة التاريخيّة. وقد سعينا أن ندرج أهمّ ما قاله هذا القائد المعظّم فيما يتعلّق بالنقاط الأساسيّة الواردة في الرسالة، عسى أن نساهم في تسليط الضوء على عمق محتوى هذه المفاهيم. وأملنا أن نشاهد في المستقبل مثل هذه الانعكاسات

١| الإسلاموفوبيا.





الفكريّة والتحليليّة في مختلف المجالات والأبعاد. من الله التوفيق وعليه التوكّل.

معاونيّة التحقيق والتعليم

٢٠١٥





متن الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى عموم الشباب في أوروبا وأمريكا الشماليّة (١)

إنّ الأحداث الأخيرة في فرنسا(٢) وما شابهها في بعض الدول الغربيّة(٣) الأخرى دفعتني وشجّعتني أن أتحدّث معكم عنها مباشرة أيّها الشباب(٤). وهذا لا يعني أنّني أتجاهل آباءكم وأمّهاتكم. بل لأنّي أرى مستقبل شعبكم وبلادكم بأيديكم؛ وكذلك أرى بأنّ حسّ البحث عن الحقيقة في قلوبكم أكثر حيويّة ووعيًا(٥). وأنا لا أخاطب في كلمتي هذه السياسيّين والمسؤولين عندكم أيضًا، لأنّني أتصوّر أنّهم ـ وعن سابق تصوّر وتصميم ـ قد فصلوا درب السياسة عن مسار الصدق والحقيقة(٦).

حديثي معكم عن الإسلام وبصورةٍ خاصّةٍ عن الصورة التي يجري تقديمها لكم عن الإسلام.

منذ عقدين وإلى يومنا هذا ـ أي بعد انهيار الاتّحاد السوفياتي تقريبًا ـ بُذلت جهودٌ ومحاولات كثيرة لتقديم هذا الدين العظيم بصورة العدوّ المخيف(٧). وللأسف، إنّ عمليّة إثارة مشاعر الرعب والكراهيّة واستغلالها، لها ماضٍ طويلٍ في التاريخ السياسيّ للغرب.

لا أريد هنا أن أتعرّض إلى ما يثيرون من أنواع الرهاب [الفوبيا] في أوساط الشعوب الغربيّة حتّى الآن(٨). أنتم؛ وعند استعراضكم الموجز للدراسات التاريخيّة والنقديّة المعاصرة(٩)، ستجدون كيف أنّ الكتابات التاريخيّة تذمّ وتستنكر التعامل غير الصادق والمزيّف للحكومات الغربيّة تجاه سائر الشعوب والثقافات. إنّ تاريخ أوروبا وأمريكا(١٠) يطأطئ رأسه خجلًا في استرقاق العبيد وسلوكه الاستعماريّ(١١) وظلمه الذي ألحقه بذوي البشرة الملوّنة وغير المسيحيّين(١٢). إنّ المؤرّخين والباحثين عندكم عندما يمرّون على عمليّات سفك الدماء باسم الدين بين البروتستانت(١٣) والكاثوليك أو باسم القوميّة والوطنيّة خلال الحربين العالميّتين الأولى والثانية(١٤) يشعرون بالخجل والخزي. وهذا بحدّ ذاته يدعو





إلى التقدير.

ولست أستهدف من خلال استعادة قسم من هذه اللائحة الطويلة معاتبة التاريخ. ولكنّني أريد منكم أن تسألوا كلّ مثقّفيكم ونُخبكم: لماذا لا يستيقظ الوجدان العامّ في الغرب دائمًا إلّا متأخّراً عشرات السنين وأحيانًا مئات السنين؟ ولماذا تتّجه إعادة النظر في الوجدان العامّ نحو الماضي البعيد وتهمل الأحداث المعاصرة؟(١٥). ولماذا يُمنع تشكّل وعيٍ عامّ في موضوعٍ مهمّ، من قبيل أسلوب التعامل مع الثقافة والفكر الإسلاميّ؟(١٦).

أنتم تعلمون جيّدًا أنّ الاحتقار وإيجاد الكراهيّة والرهاب والخوف الوهميّ من «الآخر» قد شكّلت أرضيّة مشتركة لكلّ حالات الاستغلال الظالمة تلك. الآن أطلب منكم أن تسألوا أنفسكم لماذا استهدفت سياسة نشر الكراهيّة والرهاب القديمة ـ هذه المرّة ـ الإسلام والمسلمين بقوّة وبشكل لا سابقة له؟(١٧). لماذا يتّجه نظام القوّة والسلطة في عالمنا اليوم نحو تهميش الفكر الإسلاميّ وجرّه إلى حالة الانفعال وردّات الفعل؟

ما هي تلك المفاهيم والقيم الموجودة في الإسلام والتي تزعج وتزاحم برامج ومشاريع القوى الكبرى؟ وما هي المنافع التي تجنيها هذه القوى(١٩) عبر تقديم صورة مشوّهة وخاطئة عن الإسلام؟(١٨). لهذا، فإنّي أتمنّى عليكم أوّلًا، أن تتساءلوا وتبحثوا عن عوامل هذا التشويه الواسع للإسلام.

الأمر الثاني الذي أرغب منكم أن تقوموا به، في مواجهة سيل الاتّهامات والتصوّرات المسبقة والإعلام السلبيّ؛ أن تسعوا لتكوين معرفة مباشرة ودون واسطة عن هذا الدين. إنّ المنطق السليم يقتضي ـ وبالحدّ الأدنى ـ أن تدركوا حقيقة الأمور التي يسعون لإبعادكم عنها وتخويفكم منها، فما هي وما هي حقيقتها؟

أنا لا أصرّ عليكم أن تقبلوا رؤيتي أو أيّة رؤية أخرى عن الإسلام؛(٢٠) لكنّني أدعوكم، ألّا تسمحوا أن يقدّموا لكم ـ وبشكل مراءٍ ـ الإرهابيّين العملاء(٢١) لهم، على أنّهم يمثّلون الإسلام(٢٢). اعرفوا الإسلام من مصادره الأصيلة ومنابعه الأولى. تعرّفوا على الإسلام من القرآن الكريم(٢٣) ورسوله العظيم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)(٢٤). وأودّ هنا أن أتساءل: هل سبق أن رجعتم إلى قرآن المسلمين مباشرةً؟ هل طالعتم تعاليم رسول الإسلام (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ووصاياه الإنسانيّة والأخلاقيّة؟ هل اطّلعتم على رسالة الإسلام من مصدر آخر غير وسائل الإعلام؟(٢٥) هل سألتم أنفسكم مرّة: كيف استطاع الإسلام ـ ووفق أيّ قيم طوال





قرون متمادية ـ أن يبني أكبر حضارة علميّة وفكريّة في العالم، وأن يربّي أفضل العلماء والمفكّرين؟(٢٦).

أطالبكم ألّا تسمحوا لهم بوضع سدٍّ وحاجزٍ عاطفيّ وإحساسيّ بينكم وبين الحقيقة والواقع ـ عبر رسم صورة سخيفة مهينة(٢٧) عن الإسلام ـ ليسلبوا منكم إمكانيّة الحكم الموضوعيّ. اليوم، ونحن نرى أنّ وسائل التواصل قد اخترقت الحدود الجغرافيّة؛ لا تسمحوا لهم أن يحاصروكم في الحدود الذهنيّة المصطنعة. وإن كان من غير الممكن لأحد أن يملأ الفراغات التي تمّ إيجادها بشكلٍ فرديّ؛ ولكن كلّ واحدٍ منكم يستطيع ـ وبهدف توعية نفسه ومحيطه ـ أن يبني جسراً من الفكر والإنصاف فوق هذه الفراغات(٢٨) .

رغم أنّ هذه الأزمة المفتعلة لخلق نوع من النزغ المؤلم في العلاقة بين الإسلام وبينكم ـ أنتم الشباب ـ؛ لكن بإمكانها أن تثير تساؤلات جديدة في ذهنكم الوقّاد والباحث عن الحقيقة(٢٩).

إنّ سعيكم لمعرفة الأجوبة عن هذه التساؤلات يشكّل فرصة مغتنمة لكشف الحقائق الجديدة أمامكم. وعليه، يجب أن لا تفوّتوا هذه الفرصة للوصول إلى الفهم الصحيح وإدراك الواقع دون حكم مسبق. ولعلّه ـ وبنتيجة تحمّلكم هذه المسؤوليّة تجاه الحقيقة ـ سترسم الأجيال الآتية صورة هذه المرحلة من تاريخ التعامل الغربيّ مع الإسلام، بألمٍ أقلّ زخمًا ووجدان أكثر اطمئنانًا(٣٠).

سيّد علي الخامنئي

١٣٩٣/١١/١ هـ ش

٢٠١٥/٠١/٢١ م



إضاءات على الرسالة من كلمات الإمام الخامنئي

استعدادات الشباب

- إنّ الشابّ النشط النزيه المفعم بالأمل باستطاعته أن يكون ضمانة للمستقبل[١].
- إنّ الشابّ بطبيعته رافضٌ للظلم ويواجه التسلّط والاستبداد. إنّ الشابّ بطبيعته إذا رأى دولةً في الساحة الدوليّة تريد أن تفرض نفسها على أساس الظلم ـ كالنظام والكيان الصهيونيّ المبنيّ على الظلم ـ فسوف يعارضها أو يخالفها[٢].
- إنّ خطاب عليّ بن أبي طالب للشباب ليس خطابًا سياسيًّا أو تحايلًا سياسيًّا بل هو نظرة وخطاب حكيمٌ وأبويّ. فهو لا يريد أن يستغلّ الشابّ على طريق جعل السوق الاقتصاديّ مزدهرًا أو في المعركة السياسيّة التي يخوضها هو نفسه؛ بل يريد للشابّ أن يتحرّك على طريق الرشد والهداية والصلاح، وهي قيمٌ ظهرت في عليّ بن أبي طالب نفسه [٣].
- إنّ الشباب هم محرّك ومشغّل الحركات الكبرى في

١| كلمته في خطبتي صلاة جمعة طهران، ١٣٧٧/٨/٨- ١٩٩٨/١٠/٣٠.

٢| كلمته في التشكّلات المختلفة لجامعيّي جامعات طهران، ١٣٧٧/١٠/٢٤- ١٩٩٩/٠١/١٤.

٣| في لقاء الأساتذة والطلّاب الجامعيّين في قزوين، ١٣٨٢/٩/٢٦- ٢٠٠٣/١٢/١٧.






المجتمع[١]. إنّ الشباب في الحقيقة هم المحرّك للدولة بأحد المعاني، سواء في أيّام شبابهم أو في مستقبلهم عندما يصبحون رجالًا ونساء ومدراء وعاملين في البلد[٢].

- إنّ العدوّ يركّز على الجيل الشابّ بسبب بعض نقاط الضعف التي يتّصف بها. ولكن نقاط القوّة لدى الشباب أكثر بكثير من نقاط ضعفهم[٣].

الشباب والمستقبل

- الشباب والناشئة هم المنبع الفوّار للطاقة والاستعداد. الشابّ هو المستقبل. الشابّ الجيّد يعني المستقبل الجيّد لأيّ بلد[٤].
- يا شبابنا الأعزّاء، يا أبنائي الراشدين، استعدّوا وأعدّوا أنفسكم لمستقبلٍ أفضل ولفتح ميادين أكثر في المستقبل لكم[٥].
- أنتم أيّها الشباب، وبالخصوص الشباب الجامعيّ، أنتم أمل المستقبل؛ وسوف تراكم البشريّة في الأفق الآتي[٦].

١| كلمته في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافيّة، ١٣٦٨/٩/٢١-١٩٨٩/١٢/١٢.

٢| في اليوم الثاني لفجر الثورة المباركة (يوم الثورة الإسلاميّة والشباب) ١٣٧٧/١١/١٣-١٩٩٩/٢/٢م

٣| كلمته في قادة ومنتسبي الحرس الثوري، بمناسبة يوم الحراسة ١٣٧٦/٩/١٣-١٩٩٧/١٢/٠٤.

٤| كلمته في لقائه أعضاء اتّحاد التجمّعات الإسلاميّة لطلّاب المدارس، ١٣٨٢/٦/٢٦- ٢٠٠٣/٠٩/١٧.

٥| كلمته في كليّة العلوم البحريّة، نوشهر،١٣٨٨/٧/١٤- ٢٠٠٩/١٠/٠٦.

٦| كلمته في لقائه الطلّاب والأساتذة الجامعيّين، محافظة كرمان، ١٣٨٤/٢/١٩-٢٠٠٥/٠٥/٠٩.



- أيّها الشباب هيّئوا أنفسكم للمسؤوليّات الأعظم والأصعب[١].

الشباب وحقيقة البحث

- يجب الاستفادة من إمكانات عمر الشباب وطاقته، التي تمنح الشابّ روح البحث والتحقيق والمتابعة والتعمّق، إلى الحدّ الأقصى[٢].
- للحقّ والحقيقة عدوّ، فبيان الحقيقة وإظهارها ليس أمرًا سهلًا. إنّ أعداء الحقيقة هم أهل هذه الدنيا والمقتدرون والطواغيت الموجودون في العالم؛ وقد كان الأمر على هذا المنوال طوال التاريخ[٣].

النظرة إلى الغرب

- من المزايا الجيّدة للأوروبيّين هي المخاطرة، التي شكّلت منطلق نجاحاتهم... وميزة أخرى هي عبارة عن مثابرتهم وعدم التهرّب من العمل ... لقد كان أكابر العلماء والمخترعين في الغرب وأكثرهم مهارة من أولئك الذين عاشوا حياةً قاسية وانهمكوا سنوات طوال في حجرهم حتّى أفلحوا في تحقيق الاختراعات. وحينما يتأمّل المرء في حياتهم تتّضح أمامه الطريقة التي عاشوا فيها[٤].

١| كلمته في جمع من أهالي شاهرود، ١٣٨٥/٨/٢٠- ٢٠٠٦/١١/١١.
٢| كلمته في لقائه وزير العلوم ورؤساء الجامعات، ١٣٨٣/١٠/١٧- ٢٠٠٥/٠١/٠٦.
٣| كلمته في لقائه جمع من الطلّاب وعلماء الدين، ١٣٨٨/٩/٢٢- ٢٠٠٩/١٢/١٣.
٤| كلمته في جمع من الشباب والمثقّفين في مصلّى رشت، ١٣٨٣/١٠/١٧هـ.ش- ٢٠٠١/٠٥/٠٢.



- إنّ معارضة المؤمن بالإسلام للحضارة الغربيّة ليست بسبب تقدّمها العلميّ أو مكافحة الخرافات وإضفاء الطابع العلميّ على كافّة العلاقات الاجتماعيّة، إنّما هو بفعل الفراغ المعنويّ وغياب الفضيلة عن هذه المنظومة الدنيويّة[١].

السياسيّون ورجال الدولة الغربيّون

- إنّ أكبر مصدر للتهديد اليوم في العالم هو الحكومة الأمريكيّة؛ فهذه الحكومة تتدخّل في أيّ مكان من العالم تجد ضرورةً للتدخّل فيه، دون أيّ رادع أو التزام وجدانيّ أو دينيّ؛ وتقوم بالتدخّل دون وجه حقّ، وتتدخّل على نحو يسلب الاستقرار والأمن. لقد جعلت أمريكا العالم غير آمن[٢].
- إنّ حكومة الولايات المتّحدة الأمريكيّة وتابعيها، هم على هذه الشاكلة، هذه هي حقيقتهم، وهذه هي واقعيّتهم! فهم لا يبدون أي تأثّر أو أيّ شعور إزاء قتل الناس والأبرياء البتّة، ويدعمون الظالم والمرتكب للمجازر المهولة والفجائع الكبرى ويدافعون عنه، كما يحصل اليوم في غزّة[٣].
- تنطلق قوّة وتزحف من مسافة آلاف الكيلومترات وتأتي إلى هنا إلى منطقتنا وتفرض سلطتها وهيمنتها بالقوّة على بلدٍ

١| كلمته في طلاب وأساتذة المدرسة العلميّة لآية الله مجتهدي، ١٣٨٣/٣/٢٢- ٢٠٠٤/٠٦/١١.

٢| كلمته في جمع من القادة والعاملين في جيش الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، ١٣٩٤/١/٣٠- ٢٠١٥/٠٤/١٩.

٣| كلمته في لقاء الجامعيّين، ١٣٩٣/٥/١- ٢٠١٤/٠٧/٢٣.





أعزلٍ لا قدرة له ولا إمكانيّات، فتبدّل مواكب الأعراس إلى عزاء، وتصبّ مروحيّاتهم الموت على رؤوس الناس. تهدم البيوت، وليس بوسع أحد أن يقول لهم شيئًا، ولا يعتذرون عن أفعالهم![١].

- إنّ مجموع الساسة الغربيّين للأسف ـ أي هذه المجموعة المؤثّرة الخاضعة غالبًا لتأثير الصهاينة ـ أصبحت مهمّتهم تضليل الـرأي العامّ العالميّ ونشر الأكاذيب، واصطناع الشعارات الكاذبة. إنّنا نطلب من رؤساء البلدان هؤلاء أن لا يكذبوا كلّ هذا الكذب. نطالب هذه الدول الغربيّة، والدولة الأمريكيّة، والدولة البريطانيّة، وبعض الدول الأوروبيّة الأخرى، ألّا تضلّل الرأي العالميّ كلّ هذا التضليل[٢].
- ما يشاهَد في العالم اليوم هو أنّ القوى والحكومات التي تدّعي الإنصاف والعدالة لا تراعي الإنصاف ولا العدالة؛ إلّا في دائرة سياساتها الضيّقة والمحدودة والظالمة[٣].

اللاعدالة في الغرب

- إنّ انعدام العدالة أكثر ما يكون في البلدان التي تتبجّح بالديمقراطيّة. ففي أمريكا، ورغم مرور سنوات متمادية على إعلانهم ـ بالطبع، حبرًا على ورق ـ المساواة بين

١| كلمته في مسؤولي النظام وسفراء البلاد الإسلاميّة، ١٣٩١/٣/٢٩ - ٢٠١٢/٠٦/١٨.

٢| كلمته في مناسبة عيد الغدير، ١٣٨٨/٩/١٥ - ٢٠٠٩/١٢/٠٦.

٣| كلمته في لقائه نوّاب الأقليّات الدينيّة الإيرانيّة في مجلس الشورى الإسلاميّ، ١٣٩٣/١١/٦ - ٢٠١٥/٠١/٢٦.





البيض والسود، إلّا أنّ التمييز بين البيض والسود لا زال قائمًا حتّى الآن في ذاك البلد، ولا زال التمييز العنصريّ متفشّيًا في بعض الدول الأوروبيّة أيضًا، وما زالت قضيّة العنصريّة موجودة هناك، وما زالت مراكز القوى في هذه البلدان لا تتورّع عن قمع أيّ جماعة أو فئة أو شخص يعارض هيمنتها الرأسماليّة المطلقة بأقسى الأساليب.

قبل سنوات، قد أحرقوا جماعة من الناس وهم أحياء ـ من يتابع الأخبار وما تكتبه الصحف يتذكّر ذلك ـ فاحترق سبعون أو ثمانون رجلًا وامرأة وطفلًا في أمريكا. ففي نفس هذا المكان الذي يتوهّمون فيه أنّ للكلاب والحيوانات حقوقًا، ويدّعون بأنّهم يقيمون دعوى على من يسيء لقطّتهم أو كلبهم في دارهم، فإنّهم يحرقون الناس في وضح النهار وأمام أنظار العالم! ونفس هذا البلد، يدافع صراحةً عن أكبر الحكومات إرهابًا في العالم، أي الصهاينة[1].

التاريخ السياسيّ للغرب

- اقرأوا التاريخ! في الحروب الأهليّة في أمريكا ـ وهي حروب الانفصال المعروفة، الحرب بين الشمال والجنوب الأميركيّ ـ أراد الجنوبيّون أن ينفصلوا، فحاربهم الشماليّون ولم يسمحوا لهم بالانفصال. وقد استمرّت الحرب الأهليّة لمدّة أربع سنوات حوالي الأعوام ١٨٦٠ ـ أي قبل حوالي ١٥٠ سنة

١| كلمته في الحرم الرضويّ الشريف في صحن الإمام الخميني (قده)، ١٣٧٤/١/١- ١٩٩١/٠٣/٢١.

تقريبًا - حيث كان يعتبر كلّ فريق بأنّ النجاح هو في أن يتمكّن من أن يشتري سفينة حربيّة أو مدفعًا معيّنًا من إنكلترا مثلًا، وأن يأتي به عبر المحيط الأطلسي ويوصله إلى المكان الذي يريد[١]... بعد ما يقرب من ثمانين أو تسعين سنة من تأسيس الولايات المتّحدة الأمريكيّة، يقول أحد الكتّاب الأمريكيّين ـ الذي يبدو أنّه من المعاصرين لنا ـ يقول: قد كُتب أكثر من مئة ألف كتاب بشأن هذه الحروب! فبشأن أربع سنوات من الحرب، ليست مورد افتخار ـ لأنّها كانت حربًا أهليّة جرت بين شعبٍ واحد ـ قد تمّ كتابة أكثر من مئة ألف كتاب. هكذا يقول هذا الكاتب الأمريكيّ، الذي يُعدّ كاتبًا معتبرًا. إلّا أنّ البعض من مروّجي الدعاية الأمريكيّة يدّعون أنّ هذه الحرب الانفصاليّة هي: حرب من أجل إلغاء نظام الرقّ، وهذه تُعتبر إحدى أكاذيبهم، فليس الأمر كما يدّعون؛ لأنّ نظام الرقّ قد أُلغي في عهد أبراهام لينكولن، ولم يكن وقوع تلك الحروب يهدف إلى إلغاء ذلك.

إنّ الشخص الذي يقرأ تاريخ هذه الحروب، يفهم الأمر على حقيقته. هذه الحروب الأهليّة الشاملة، والتي لا تدعو للفخر، كانت مليئة بالهزائم والخسائر، وقد انتهت بانتصار القسم الشماليّ، الذي كان يطالب بالانفصال عن الجنوب، وتشكيل حكومة جديدة للولايات المتّحدة الأمريكيّة؛ ففي الواقع، لقد مُنيت دولة أمريكا بالهزيمة؛ رغمِ أنّه انتصر قسم على قسم؛

١| كلمته في الطّلاب والأساتذة الجامعيّين، محافظة سمنان، ١٣٨٥/٨/١٨- ٢٠٠٦/١١/٠٩.





فما كان يُنقل هو أنّه قد قُتل ما يقرب من ستمئة أو سبعمئة ألف شخص![١].

- إنّ أكثر الآثار مأساويّةً الآن هي الآثار الفنيّة التي تحكي عن حياة الرقّ في أمريكا، وما زال كتاب **كوخ العم توم** ماثلًا إلى الآن منذ ما يقرب مئتي عام! هذه هي حقائق أمريكا، وهذه هي حكومتها، وهذه هي المعالم والخصال التي أراها النظام الأمريكيّ للعالم؛ فلا حريّة للإنسان ولا مساواة. وأيّة مساواة هذه؟! فما زلتم لا ترون تساويًا بين الأسود والأبيض؛ وإنّكم لحدّ الآن تعتبرون العرق الأحمر نقطة ضعف في أيّ شخص على مستوى الاختيار الإداريّ في جميع مراحله[٢].

- إنّ معارضة المؤمن بالإسلام للحضارة الغربيّة ليست بسبب تقدّمها العلميّ أو مكافحة الخُرافات وإضفاء الطابع العلميّ على كافّة العلاقات الاجتماعيّة، إنّما هو بفعل الفراغ المعنويّ وغياب الفضيلة عن هذه المنظومة الدنيويّة. هذا طبعًا مصير الغرب: أنْ يسقط في هذه الورطة؛ كان هذا هو ردّ الفعل حيال رجال الدين الذين ابتُلي بهم الغرب قبل عصر النهضة في أوروبا، بما لهم من اعوجاجات فكريّة، ونزعة رجعيّة، وعصبيّات عنيدة بعيدة كلّ البعد عن العقل والمنطق، حين كانوا يعارضون العلم والتقدّم ويحرقون البشر في النار أحياءً لجرائم وهميّة ـ يعود هذا إلى ما قبل قرنين أو ثلاثة في أوروبا، وليس بالأمر القديم جدًّا ـ وحين

١| كلمته في مجموعة من المقاتلين والمضحّين وقادة فترة الدفاع المقدّس، ١٣٨٥/٧/٢٩- ٢٠٠٦/١٠/٢١.

٢| كلمته في مسؤولي نظام الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٨٠/١٢/٢٧- ٢٠٠٢/٠٣/١٨.



سادت الخُرافات البشعة كافّة الشؤون الفكريّة والمعنويّة فـي أوروبا والكنيسة يومذاك، كانت نتيجتها هو نفس ما حصل فـي أوروبا وأسقطها إلى هذا المنحدر[١].

- الكثير من البلدان وكثير من الشعوب في شرق العالم وغربه ـ في أفريقيا وآسيا ـ قد قُمعت وسُحقت واستُعمرت بواسطة العلم الذي للبلدان الغربيّة؛ وقد تمّ أسر الأجيال البشريّة واستعبادها. فالسود في أمريكا اليوم هم أبناء أولئك الضعفاء الذين سيقوا من بلدانهم الأفريقيّة عبيدًا على يد المستعمرين الغربيّين. لقد اصطادوهم من بيوتهم وحياتهم ومزارعهم وبيئتهم، كما تُصطاد الحيوانات؛ وقد شرّدوهم وأجبروهم على الأعمال الشاقّة. وقد وقع هذا في كلّ أنحاء العالم، في شبه القارّة الهنديّة، وفي آسيا القصوى (الشرق الأقصى)، وخلال العهود السوداء. أذلّوا عباد الله وخلقه، وظلموهم وأفسدوا حياتهم لفترات طويلة بعلمهم، بواسطة العلم الذي اكتسبوه وكان موهبة إلهيّة.

وبعد ذلك، وبارتقائهم سلّم العلم وبفضل المعارف التي أحرزوها، تمّ صنع القنبلة الذريّة، والأسلحة الكيمياويّة، ودُمّرت الأجيال، وفُجع الناس بأحبابهم، وصارت الدنيا ما تشاهدونه في الجغرافيا السياسيّة في العالم: تقسيم العالم إلى طيفين: طيفٌ جائرٌ وآخر خاضع للجور، ظالم وخاضع للظلم، وبفواصل كبيرة جدًّا[٢].

١| كلمته في جمع من الطلّاب والمدرّسين في مدرسة آية الله مجتهدي العلميّة، ١٣٨٣/٣/٢٢- ٢٠٠٤/٠٦/١١.

٢| كلمته في خرّيجي جامعة الإمام الحسين(ع)، ١٣٨٨/١/٢٦- ٢٠٠٩/٠٤/١٥.







- تلاحظون اليوم في أوروبا وأمريكا أيّ إعلام يُشنّ ضدّ المسلمين! ليست القضيّة أنّه: لماذا لا يتمتّع المسلمون بالحريّة اللازمة في الكثير من هذه البلدان؛ إنّما القضيّة: لماذا لا يأمنون على أرواحهم؟! هذا هو واقع القضيّة.

إن فيلم «القنّاص»[١]، الذي أنتجته هوليوود والذي تُثار ضجّة حوله حاليًّا، يشجّع الشابّ المسيحيّ أو غير المسلم على إيذاء المسلمين بكلّ ما أوتي من قوّة وبما يُتاح له؛ إنّه في الأساس يشجّع هذا المعنى [ويروّج له]؛ كما ينقلون، فنحن لم نشاهد هذا الفيلم. هذا المنهج ليس هو المنهج المحبّذ لدى الإسلام، فالإسلام يؤمن بالإنصاف[٢].

- لا فرق عندهم بين الشيعة والسنّة. إنّهم يشعرون بالخطر أكثر مقابل الشعب أو الجماعة، أو الشخص المتمسّك بالإسلام أكثر، ومعهم الحقّ في ذلك. الحقّ أنّ الإسلام يمثّل خطرًا على أهداف الاستكبار وطموحاته السلطويّة، ولا يمثّل أيّ خطر على الشعوب غير المسلمة. لكنّهم يدّعون عكس ذلك. إنّهم يستخدمون الفنون والدعايات والسياسة ووسائل

١| فيلم «القنّاص الأمريكيّ» السينمائيّ الذي عرض في دور السينما في يناير سنة٢٠١٥ م. وقد تمّ إنتاج هذا الفيلم اقتباسًا من كتاب بنفس الاسم كتبه «كريس كايل»، حيث يسرد فيه كاتبه قصّة حياته الواقعيّة عندما كان جنديًّا في القوّة البحريّة الأمريكيّة وتحوّل تدريجيًّا إلى ماكنة قتل الأفراد في الجيش الأمريكيّ، وحطّم الرقم القياسيّ في قتل أكبر عدد من الأفراد في الحرب كقنّاص! وقد ترشّح هذا الفيلم لنيل جائزة أوسكار في عدّة مجالات.

٢| كلمته عند لقائه نوّاب الأقليّات الدينيّة في مجلس الشورى الإسلاميّ، ١٣٩٣/١١/٦ - ٢٠١٥/٠١/٢٦.



الإعلام لكي يدّعوا أنّ الإسلام ضدّ الشعوب والأديان الأخرى! إلّا أنّ الأمر ليس كذلك[١].

الدوافع التي أوجدت رهاب الإسلام

- فكّروا اليوم بشكل خاصّ في السبب الذي يدفع السياسيّين الغربيّين إلى إشاعة الخوف من الإسلام؟ وما هو العنصر القويّ في الإسلام السياسيّ على نهج إيران الذي يدفع جميع المقتدرين والمتعسّفين والمعتدين والمستكبرين لمواجهته بكلّ الأساليب والأبعاد[٢].

- إنّ تخويف الناس من الإسلام هو من الأعمال [البرامج والخطط] الأساسيّة والمهمّة التي تقوم بها الشركات الفنيّة المعروفة في العالم. لماذا؟ فلو لم يكن الإسلام مهدّدًا لمنافع عتاة العالم، لما كانت ردّات الفعل هذه لتظهر في المقابل. فكما ترون، إنّهم يقومون بتشكيل جماعات باسم الإسلام وباسم الحكومة الإسلاميّة، يجهّزونها ويسلّحونها ويدعمونها لتقوم بقتل الناس الأبرياء، ويجعلون كثيرًا من الدول غير آمنة بسببهم؛ كلّ ذلك يشير إلى مدى نفوذ رسالة الإسلام [وانتشارها]، فهم يخافون من الإسلام الحقيقيّ[٣].

- هناك رُهاب من الإسلام، هناك من يعمل على تخويف الناس

١| كلمته في مسؤولي النظام، ١٣٨٦/١/١٧- ٢٠٠٧/٠٤/٠٦.

٢| رسالته في رابطة الاتّحادات الإسلاميّة للطلبة الجامعيّين في أوروبا، ١٣٩٣/١١/٣- ٢٠١٥/٠١/٢٣.

٣| كلمته في طلّاب جامعات الضبّاط في جيش الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٩٣/٨/٢٦- ٢٠١٤/١١/١٧.






والمجتمعات والشباب والعقول من الإسلام؛ من هم هؤلاء؟ عندما نتعمّق في هذه القضيّة وندقّق بها جيّدًا، نجد أنّ الذين يقومون بهذا الأمر هم أولئك العتاة الجشعين أنفسهم الذين يخافون أن يحكم الإسـلام، ويخافون من الإسلام السياسيّ. نعم يخافون؛ يخافون من حضور الإسلام في حياة المجتمعات، وسبب خوفهم هذا هو أنّ حضور الإسلام هذا سيوجّه ضربة لمصالحهم. في الواقع، هذا الخوف من الإسلام هو ترجمة لخوف واضطراب القوى المتسلّطة في العالم من الإسلام، هذا هو واقع القضيّة.

لقد قمتم مثلًا بجهود كبيرة، لقد سعى الشعب الإيرانيّ وجاهد وبذل الكثير حتى أقام نظامًا إسلاميًّا وحافظ على استقرار هذا النظام، فأحكم قواعده، وصانه في وجه الأحداث المختلفة، وصنع أمنه وسلامه، وعمل على تقويته يومًا بعد يوم؛ فهذا الأمر يخيف القوى العالميّة.

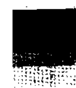
إنّ هذا الرهاب من الإسلام الموجود اليوم، الذي هو في الواقع انعكاس لمخاوفهم واضطرابهم، يظهر أنّكم تمكّنتم من التطوّر والتقدّم نحو ما تتطلّعون إليه، ويبيّن أنّ الإسلام تمكّن حتّى هذه اللحظة من التقدّم في مساره على النحو المطلوب[١].

مواجهة الإسلام من قبل سائر الأديان

- الإسلام ليس ضدّ الأديان الأخرى. الإسلام هو ذلك الدين الذي حينما فتح البلدان غير المسلمة، أعرب أصحاب الأديان

١| كلمته في لقاء مجلس الخبراء، ١٣٩٣/١٢/٢١- ٢٠١٥/٠٣/١٣.





الأخرى عن شكرهم لرحمة الإسلام، وقالوا أنتم أرحم بنا من حكّامنا السابقين. عندما دخل الفاتحون الإسلاميّون منطقة الشام، قال لهم اليهود والنصارى الذين كانوا في المنطقة: أنتم أرحم بنا. لقد كانوا عطوفين على الناس. الإسلام دين الرأفة والرحمة؛ رحمة للعالمين. يخاطب الإسلام المسيحيّين بالقول: ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾[١] فهو يركّز على النقاط المشتركة معهم[٢].

مستقبل رهاب الإسلام

- من المؤكّد أنّه ورغمًا عنهم، ستكون هناك نتائج معاكسة لتحرّك أولئك ضدّ الإسلام ولسعيهم في نشر الخوف منه؛ بمعنى أنّهم بما يقومون به سيجعلون من الإسلام مركزًا ومحورًا لأسئلة جيل الشباب. إنّ أدنى إلفات أو توجيه لشعوب العالم سيجعلهم يتنبّهون على نحوٍ مفاجئ، ويفكّرون في السبب الذي يجعل المطبوعات الصهيونيّة والقنوات التلفزيونيّة المرتبطة بدوائر القرار والسلطة، التي تملك المال والقوّة، تهاجم الإسلام على هذا النحو وبهذا المستوى؟ هذا الأمر بنفسه يشكّل أرضيّة للسؤال. وهذا السؤال باعتقادنا فيه من الفوائد ما يمكن أن يحوّل التهديد إلى فرصة[٣].

١| سورة آل **عمران**، الآية ٦٤.

٢| كلمته في مسؤولي النظام، ١٣٨٦/١/١٧- ٢٠٠٧/٠٤/٠٦.

٣| كلمته في مسؤولي مجلس الخبراء، ١٣٩٣/١٢/٢١- ٢٠١٥/٠٣/١٢.





النفور من الإرهاب

نحن ننفر من الأشخاص الذين يهاجمون الناس المدنيّين والأطفال والنساء ونمقتهم. هؤلاء لم يعرفوا شيئًا عن الإسلام أو الوجدان الإنسانيّ[١].

إنّ كلّ من يفجّر الأبرياء من النساء والرجال والمدنيّين في أيّ بقعةٍ من العالم، في مدينةٍ أو قريةٍ أو شارعٍ أو أيّ مكانٍ آخر، هو إرهابيّ ونحن لم ندافع قطّ عن مثل هؤلاء ولن نفعل[٢].

تيّار التكفير، ضدّ الإسلام

- خدش التيّار التكفيريّ صورة الإسلام في العالم وجعلها قبيحةً. لقد شاهد العالم بأجمعه من خلال أجهزة التلفاز كيف أنّهم يقومون بذبح إنسان من دون أن يحدّدوا له جنايةً، ﴿لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطينَ * إِنَّما يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾[٣]، لقد عمل هؤلاء بخلاف هذه الآية تمامًا، فقتلوا المسلمين وذبحوا غير المسلمين الذين لا يتعرّضون لهم ولم يقاتلوهم، ونشروا صورها في كلّ العالم، وقد شاهد

١| كلمته في جمع من القادة والعاملين في جيش الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٩٤/١/٣٠- ٢٠١٥/٠٤/١٩.

٢| كلمته عند لقائه مسؤولي النظام، بمناسبة عيد الفطر السعيد، ١٣٧٢/١/٤- ١٩٩٣/٠٣/٢٤.

٣| سورة **الممتحنة**، الآية ٨، وجزء من الآية ٩.





العالم ذلك. لقد شاهد العالم بأسره كيف أنّ شخصًا يقوم بذبح شخصٍ آخر تحت اسم الإسلام، وكيف أنّه يستخرج قلبه ويأكله، هذا ما شاهده العالم؛ وقد قاموا بذلك كلّه تحت عنوان الإسلام، إسلام الرحمة، إسلام التعقّل، إسلام المنطق، إسلام ﴿لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾. قاموا بتعريفه بهذا الشكل، فهل يوجد جنايةٍ أو جريمةٍ أكبر من ذلك؟! وهل هناك أخبث من هذه الفتنة؟! هذا ما يرتبط بتيّار التكفير[1].

التيّار التكفيريّ، نموذج الإرهاب الذي يخدم المستكبرين الغربيّين

- إنّ تيّار «التكفير» هـذا، الـذي ظهر اليوم في العراق وسوريا وبعض دول المنطقة، هو في الحقيقة يواجه جميع المسلمين، لا خصوص الشيعة؛ فهو من صنع أيادي المستعمرين أنفسهم، لقد صنعوا شيئًا باسم القاعدة، وشيئًا باسم «داعش» لأجل مواجهة الجمهوريّة الإسلاميّة، ولمواجهة حركات الصحوة الإسلاميّة. بالتالي، فقد أمسكوا بتلابيبهم. أمّا اليوم، فقد انقلب الأمر عليهم. بالطبع، عندما ينظر الإنسان اليوم بنظرة تحليليّة دقيقة يرى أنّ ما تقوم به أمريكا وحلفاؤها اليوم، تحت عنوان «المواجهة مع داعش»، والتي لا واقعيّة لها، يرومون من هذه المسألة توجيه

١| كلمته في المؤتمر العالميّ حول التيّارات التكفيريّة والمتشدّدة في فكر علماء الإسلام، ١٣٩٣/٩/٤- ٢٠١٤/١١/٢٥.





عداوة المسلمين لتكون فيما بينهم، وهم يسعون ليتعرّض المسلمون لقتل بعضهم بعضًا أكثر من السعي لإبادة نطفة هذه الحركة الخبيثة، وقد جعلوا سبب ذلك اليوم هذه المجموعة الجاهلة والمتعصّبة والمتحجّرة، وإلّا فالهدف هو الهدف؛ فسعيهم هو من أجل صرف المسلمين عن عدوّهم الأساسيّ[١].

- لقد أخبرونا أنّ طائرات النّقل الأمريكيّة قد قامت بنقل المعدّات، التي كانت تحتاجها هذه الجماعة المعروفة بداعش، وإسقاطها فوق تلك المراكز التي يستقرّ فيها هذا التنظيم في العراق، وقدّموا لهم المساعدات. فقلنا: لعلّ هذا الأمر قد حصل عن طريق الخطأ، إلّا أنّه تكرّر؛ وقد عرفنا فيما بعد أنّ هذا الأمر قد تكرّر خمس مرّات، فهل يمكن أن يحدث مثل هذا الخطأ خمس مرّات؟ هذا في الوقت الذي شكّلوا فيه تحالفًا هو بالظاهر ضدّ داعش، لكنّه في الواقع كذبٌ محض. فلهذا التحالف أهداف خبيثة أخرى، فهم يريدون إحياء هذه الفتنة لكي يبقى الجميع في حالة نزاعٍ وصراع، وتبقى الحرب الأهليّة بين المسلمين على ما هي عليه، هذه هي أهدافهم، وبالطبع لن يفلحوا في النهاية، اعلموا ذلك[٢].

١| كلمته في مختلف شرائح الشعب بمناسبة عيد الغدير، ١٣٩٣/٧/٢١- ٢٠١٤/١٠/١٣.

٢| كلمته في المؤتمر العالميّ حول التيّارات التّكفيريّة والمتشدّدة في فكر علماء الإسلام، ١٣٩٣/٩/٤- ٢٠١٤/١١/٢٥.







القرآن

- اعلموا أيّها الشباب الأعزّاء، أنّه في القرآن الحكمة والنور والشفاء[١].

- تُعدّ المصادر والمتون الإسلاميّة للدين أصلًا ومنبعًا في استنباط الأصول الإسلاميّة وفهمها، لا تلك السلائق والآراء الشخصيّة أو الإلقاءات الذهنيّة وأفكار هذا وذاك... وذلك لأجل أن تكون حصيلة البحث والتحقيق إسلاميّةً حقًّا ولا شيء إلّا غير ذلك. ولأجل الوصول إلى هذا المقصد وتحقيقه، فإنّ القرآن هو أكمل وأوثق سندٍ يمكن الاعتماد عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه. وفيه بيانٌ لكلّ شيء. وذلك بالتأكيد في ظلّ التدبّر العميق الذي دعانا إليه القرآن نفسه[٢].

- إنّ مشاكل أيّ مجتمع سوف تُحلّ مع القرآن. فالمشاكل تعالج بالمعارف القرآنيّة. إنّ القرآن يقدّم طريق حلّ أزمات الحياة البشريّة هديّة لبني آدم. هذا هو الوعد القرآنيّ، وقد أظهرت تجربة عصر الإسلام هذا الأمر[٣].

- لو أنّ الشباب المسلم أنسوا بالقرآن، وأعطوا الفرصة للتدبّر بالقرآن، فإنّ الكثير من شبهات الأعداء ستصبح أثرًا بعد عين[٤].

١ | كلمته في قرّاء القرآن الكريم، ١٣٨٤/٧/١٤- ٢٠٠٥/١٠/٠٦.

٢ | كلمته بتاريخ ١٣٥٣/٨/٣- ١٩٧٤/١٠/٢٥.

٣ | كلمته في محفل الأنس بالقرآن، ١٣٩١/٤/٣١- ٢٠١٢/٠٧/٢١.

٤ | كلمته في جمع من حفّاظ القرآن الكريم وقرّاء القرآن الشباب، ١٣٨٠/٦/٢٨-



- كان نبيّ الإسلام يعامل الناس معاملةً حسنة؛ فقد كان دومًا طلق المحيّا أمام الناس. ولم يكن يبدي لهم ما يكنّه في صدره من همومٍ وأحزان، بل كانت تظهر في خلواته. كان يسلّم على الجميع. وعندما كان يؤذيه أحد، فقد كان يظهر الأذى على وجهه، لكنّه لم يكن يتلفّظ بذلك. لم يكن يسمح لأحد أن يسبّ الآخرين في مجلسه، ولم يكن هو نفسه يسبّ أحدًا أو يتحدّث بما يسيء للآخرين. كان يداعب الأطفال، ويعطف على النساء، ويحنو على الضعفاء[1].

- هذه هي حياة النبيّ المكرّم، وتلك هي طفولته وشبابه، قبل البعثة. لقد كانت أمانته بحيث أنّ كلّ قريش وكلّ عربيّ كان يعرفه، لقّبه بالأمين. فإنصافه للأشخاص، ونظرته العادلة للأفراد، كانتا بحيث أنّهم عندما أرادوا وضع الحجر الأسود في مكانه، وراحت قبائل العرب وطوائفهم يتنازعون ويتجادلون حول الأمر، اختاروه ليحكم بينهم، في حين أنّه كان ما زال شابًّا. وهذا يدلّ على إنصافه للجميع، وكان الجميع يعلم ذلك. كانوا يعتبرونه صادقًا وأمينًا. هذه هي مرحلة شبابه. ثمّ جاءت مرحلة البعثة، فكانت مرحلة التجاوز والجهاد والصمود. فقد وقف جميع الناس في ذلك الزمان في وجهه، وواجهوه، وتحرّكوا ضدّه. كلّ هذا الضغط، طيلة السنوات الـ ١٣ في مكّة، أيّ سنواتٍ صعبة كانت؛ صمد النبيّ وبصموده

٢٠٠١/٠٩/١٩.

١| كلمته في خطبتي جمعة طهران، ١٣٧٩/٢/٢٣- ٢٠٠٠/٠٥/١٢.





أوجد المسلمين المقاومين والصامدين الذين لم تؤثّر فيهم كلّ الضغوطات. هذه دروس لنا. ثمّ تمّ تشكيل المجتمع المدنيّ، ولم يحكم أكثر من ١٠ سنوات. لكنّه شيّد بناءً، شكّل على مدى القرون المتمادية، قمّة الإنسانيّة في العلم، وفي التمدّن، وفي التقدّم المعنويّ، وفي التقدّم الأخلاقيّ، وفي الثروة، هكذا كان المجتمع؛ المجتمع الذي كان قد أسّسه الرسول وأرسى دعائمه[١].

التضليل الإعلاميّ الصهيونيّ

- يجب على الشباب أن يكونوا أوّل من يقف مقابل كلّ أنواع الإغواء واختلاق الشرور من قبل الأعداء فيجب عليهم أن يقاوموا هذه الدعايات المثيرة للهوس والمضلّلة للشباب.[٢]
- إنّ جميع وسائل الإعلام المهمّة في العالم اليوم، هي تقريبًا محتكرة من قبل الأجهزة المقتدرة التي تسلّطت على معظم حكومات العالم؛ وأكثر هذه الوسائل الإعلاميّة هي صهيونيّة أو متّحدة مع الصهاينة[٣].

الثقافة والفكر الإسلاميّ

- لقد تعلّمنا من الإسلام أنّه يجب التعامل مع أتباع الأديان

١| كلمته في ذكرى المولد النبويّ، ١٣٩٠/١١/٢١- ٢٠١٢/٠٢/١٠.

٢| كلمته في الاجتماع الكبير لقادة «القوى المقاومة للتعبئة» من مختلف أنحاء البلاد، في اليوم الثاني لأسبوع التعبئة، ١٣٧٢/٨/٣٠- ١٩٩٣/١١/٢١.

٣| كلمته في خطبتي صلاة الجمعة، طهران، ٢٠٠١/٠٣/١٦.





الأخرى بإنصافٍ وعدالة. هذا هو حكم الإسلام لنا. يقول أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) في قضيّة الهجوم على مدينة الأنبار: «**بَلَغَني أنَّ الرَّجُلَ مِنهُم كان يدخُلُ المَرأَةَ المُسلِمَةَ والأخرَى المُعاهِدَة فينتزع حجلها وقلبها**»[١]. يقول: سمعتُ أنّ الذين هاجموا هذه المدينة كانوا يدخلون على بيوت النساء المسلمات وغير المسلمات ـ معنى المعاهِدة المرأة اليهوديّة أو النصرانيّة التي لها معاهدة مع المسلمين وتعيش في ظلّ الحكومة الإسلاميّة ـ "فينتزع حِجلَها" ويؤذونها ويظلمونها. ثمّ يقول سلام الله عليه: « **فلو أنّ امرأً مسلمًا مات من بعد هذا أسفًا ما كان به ملومًا!** لاحظوا، هذا أمير المؤمنين. لو مات المسلم كمدًا وشجنًا على هذا الشيء؛ وهو أن يدخل جنود العدوّ والناهبون على بيت امرأة غير مسلمة ويؤذونها ويسرقون حليّها وحجلها، [فلو مات المسلم غمًّا] فيجب عدم ملامته. هذا هو رأي الإسلام[٢].

- نُقل عن نبيّ الإسلام المكرّم حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم: «ما قسّم الله للعباد شيئًا أفضل من العقل»[٣]، إنّ الله يقسّم الأرزاق بين عباده كالهواء والماء والعمر

١| خطب الإمام علي (ع)، **نهج البلاغة**، شرح الشيخ محمّد عبده (قم: دار الذخائر، الطبعة١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠هـ.ش)، الجزء ١، الصفحة ٦٨.

٢| كلمته في لقائه نوّاب الأقلّيّات الدّينيّة الإيرانيّة في مجلس الشّورى الإسلاميّ، ١٣٩٣/١١/٦ - ٢٠١٥/٠١/٢٦.

٣| الكليني، **الكافي**، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة ٣، ١٣٦٧هـ ش)، الجزء ١، الصفحة ١٢. وعن: البرقي، **المحاسن**، الجزء ١، الصفحة ١٩٣.





واللذائذ، «ما بنا من نعمة فمن الله»[١]؛ فالكّل من الله. ومن بين جميع هذه النعم المختلفة والمتنوّعة فإنّه، وبحسب شهادة نبيّ الإسلام، لم يقسّم بين العباد نعمةٌ أهمّ من نعمة العقل... وفي نهاية الحديث، يقول "ولا بعث الله رسولًا ولا نبيًّا حتّى يستكمل العقل"[٢]. فالله تعالى لم يرسل على مرّ التاريخ، أيّ نبيٍّ إلى الناس إلّا بهذا الهدف والمقصد وهو أن يكمّل العقل بين الناس. وفي خطب **نهج البلاغة** أيضًا، فإنّ الله تعالى قد أرسل النبيّ «ويثيروا لهم دفائن العقول»[٣]. فالعقل لأيّ شيء؟ إنّ العقل هو لأجل اكتشاف طريق الحياة. يجب أن يفكّر الإنسان وأن يحلّل ويبحث لكي يصل إلى طريق الحياة.[٤]

جاء الإسلام وسطع شمس المعارف الإسلاميّة على القلوب والأذهان وقد تقدّمت مسيرة الرشد وقافلة الارتقاء البشريّ بسرعة، بالرغم من وجود كلّ أنواع الجهل في العالم وكلّ الظروف غير المساعدة. لم يمرّ أكثر من نصف قرن على البعثة، حتّى أصبح أكثر من نصف العالم المأهول تحت تأثير الإسـلام، فمثل هذا الأمر ليس بالقليل. فأينما حلّ الإسلام، كان الناس يرحّبون به وكانت القوى المصطنعة

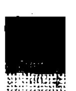
١| الكفعمي، **المصباح** (بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ٣، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م)، الصفحة ٢٣٧.

٢| **الكافي**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٣. وعن: **المحاسن**، الجزء ١، الصفحة ١٩٣.

٣| **نهج البلاغة**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٤٣.

٤| كلمته في لقاء أساتذة وتلامذة الجامعات، قزوين، ١٣٨٢/٩/٢٦- ٢٠٠٣/١٢/١٧.





والممانعة والمعارضة تزول وتتنحّى بسهولة. فأيّ عامل منح الإسلام مثل هذه القدرة ليتقدّم وليشكّل من بعدها حضارة إسلاميّة، بقيت في قمّة التلألؤ والاقتدار، حتّى في عصر انحطاط القدرة السياسيّة للإسلام؛ وجعلت ثقافة العالم كلّه تحت تأثيرها؛ وأدّت إلى نشر العلوم، وروّجت للثقافة الإسلاميّة؟![١].

- إنّ البشريّة اليوم بأمسّ الحاجة لقضيّتين ناجمتين عن البعثة: إحداهما إثارة الأفكار والتفكير، والثانية تهذيب الأخلاق؛ فلو تأمّنت هاتان المسألتان، فسوف تتأمّن المطالب القديمة للبشريّة؛ وسوف تتأمّن العدالة والسعادة والرفاه الدنيويّ. المشكلة الأساسيّة كامنة في هذين الجانبين... نحن أبناء البشر لدينا موهبة تفكير عظيمة كامنة في داخلنا. حينما لا نتدبّر في الآيات الإلهيّة، وفي تاريخنا، وفي ماضينا، وفي الأمور والقضايا المختلفة التي حدثت للبشريّة، وفي مشكلات الماضي، وفي عوامل الانتصارات الكبرى للشعوب، نبقى محرومين من الكنوز المعنويّة التي أودعها الله فينا. «وليذكّروهم منسيّ نعمته، .. ويثيروا لهم دفائن العقول». البشريّة اليوم بحاجة لهذين الأمرين[٢].
- إنّ التبادل الثقافيّ هو مثل أن تذهبوا إلى محلٍّ للفاكهة أو الأطعمة والخضار وتختاروا ما ترغبون به وينسجم مع مزاجكم وتأنس به عيونكم، وتتناولونه. الأمر كذلك في عالم

١| كلمته في ١٣٧٨/٨/١٥- ١٩٩٩/٠٨/٠٦.

٢| كلمته في لقائه سفراء البلاد الإسلاميّة، ٢٠١٢/٠٦/١٨.





الثقافة، فما رأيتموه واستحسنتموه ورأيتموه مناسبًا لكم ولم تجدوا فيه مشكلةً تأخذونه من شعبٍ آخر أو مجموعةٍ مغايرة فلا إشكال في ذلك، اطلبوا العلم ولو بالصين"[١]. لقد تعلّمنا هذا منذ ١٤٠٠ سنة[٢].

ميزات الإسلام المحمديّ الأصيل

- ينبغي أن يكون جهدنا وسعينا في تقديم الإسلام النقيّ الناصع؛ الإسلام الذي يواجه الظالم ويدافع عن المظلوم. إنّ هذا الأمر سيرضي تطلّعات الشاب الذي في أوروبا أو أمريكا أو في المناطق النائية من العالم؛ سوف يسرّه أن يعلم أنّ الإسلام يشكّل طاقةً ودافعًا وفكرًا يواجه الظالمين والطغاة، ويسعى نحو تحقيق مصالح المظلومين، وأنّ عنده برنامجًا في هذا المجال ويعتبر هذا الأمر من مسؤوليّاته. علينا أن نقدّم الإسلام الذي يدعو إلى العقلانيّة؛ الإسلام الذي يملك فلسفة عميقة، إسلام الفكر. علينا أن نقدّم الإسلام الذي أعطى أهميّة بالغة للعقل والفكر واللبّ وأمثالها. الإسلام الذي يدعو إلى التعقّل ويرفض السطحيّة والتمسّك بالقشور، يرفض التحجّر، يأبى للإنسان أن يكون أسيرًا لأوهامه وخيالاته، كما يفعل البعض باسم الإسلام؛ الإسلام النقيّ الصافي، علينا أن نبيّن لهم بأنّ هذا هو الإسلام، الإسلام

١| الحرّ العاملي، **وسائل الشيعة** (لبنان- بيروت: دار إحياء التراث العربي)، الجزء ٢٧، الصفحة ٢٧.

٢| كلمته في لقائه الأساتذة والطلّاب الجامعيّين، قزوين، ١٣٨٢/٩/٢٦-٢٠٠٣/١٢/١٧.



الملتزم مقابل الاستهتار واللامبالاة.

نعم، فاليوم هناك كثير من الأجهزة والجهات التي تسعى لتقود الشباب نحو عدم المبالاة، والاستهتار، والإباحيّة، والتحرّر من كلّ قيد في شتّى المجالات. يجب أن نعرض الإسلام الذي يرى في الإنسان إنسانًا ملتزمًا ويريد إنسانًا ملتزمًا، الإنسان الحاضر في ميدان الحياة مقابل الإسلام (العلمانيّ). الإسلام العلمانيّ شبيه المسيحيّة العلمانيّة التي تتّجه نحو زاوية في الكنيسة لتكون حبيسة فيها، فلا يكون لها أيّ حضور في واقع الحياة؛ كذلك هو الإسلام العلمانيّ، هناك من يدعو اليوم إلى إسلامٍ منزوٍ؛ إسلام ليس له أيّ اهتمام بحياة الناس؛ إسلام يدعو الناس إلى عبادةٍ ما أو زاوية مسجدٍ ما أو زاوية بيت ما، ليس إلّا. فلنبيّن الإسلام الذي يدخل في متن الحياة، الإسلام الذي يرحم الضعيف، الإسلام الذي يجاهد المستكبرين ويواجههم[١].

- إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام يخاطب الشباب بهاتين الجملتين، «يا معشر الفتيان حصّنوا أعراضكم بالأدب ودينكم بالعلم»[٢]. إنّ شرف الإنسان وشأنه يُحفظ بالأدب، وإنّ دينه يُحفظ بالعلم. فهذا كلام مهمّ جدًّا. فالعلم يحفظ الدين وهذا هو منطق الإسلام. دعونا من المجدّفين المعاندين للإسلام الذين يردّدون دومًا أنّ الإسلام لا ينسجم مع العلم[٣].

١| كلمته في أعضاء مجلس الخبراء، ١٣٩٣/١٢/٢١- ٢٠١٥/٠٣/١٢
٢| اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي** (بيروت: دار صادر، لا تاريخ)، الجزء ٢، الصفحة ٢١٠. وعن: الشيخ المحمودي، **نهج السعادة**، الجزء ٧، الصفحة ٢٦٦.
٣| كلمته في لقائه الأساتذة والطلّاب الجامعيّين، قزوين، ١٣٨٣/٩/٢٦- ٢٠٠٣/١٢/١٧.

الحضارة الإسلاميّة والعلماء المسلمين

- انظروا إلى القرن الرابع الهجريّ. يظهر كتاب **الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجريّ** للكاتب «آدم ميتز»، أنّ كلّ البيئة الإسلاميّة كانت عبارة عن سوق للعلوم، وأنّ إيران كانت المركز الأساسيّ لذلك، أي في أصفهان والريّ وفارس وخراسان وهرات ومرو وغيرها من المدن. لقد كانت هذه المدن مراكز العلوم في العالم ووصلت إلى القمم[1].

- لقد قام النبيّ في تلك السنوات العشر بعمل جعل البشريّة مستغنية وإلى الأبد عن رسالة جديدة ونبوّة أخرى فماذا فعل هذا النبيّ؟ لقد قدّم للناس دينًا كاملًا يحتوي على جميع الخطوط الأساسيّة للحياة وقد طبّق كلّ تلك الأمور في حياته على أساس دعامة كبرى، وهذه الدعامة هي العقل والعلم؛ فلو لم يكن العقل والعلم مستعملًا في الإسلام لهذا المستوى، لعلّه لم تكن البشريّة لتتمكّن من أن تعيش مع تلك الأحكام لمدّة طويلة في أعماق الإدراك والشعور الدينيّين وفي بطن الأحكام الدينيّة. لقد منح النبيّ العقل والعلم وكلّ الإدراكات العقلانيّة للبشر موقع الأصول الدينيّة والمعارف الإسلاميّة. بالطبع، عندما نقول إنّ النبيّ قد فعل كذا، فهو يعني أنّ الله هو الذي فعل كذا؛ وهو يعني أنّ الوحي الإلهيّ هو الذي وضع هذا الإدراك وهذا الطريق أمام النبيّ وقد أعطاه هذا الدرس.

١| كلمته في أعضاء «مجموعة العلم» صوت الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، ١٣٧٠/١١/١٥- ١٩٩٢/٠٢/٠٤.





لقد كان الاهتمام بالعلم سببًا ليعتبر المسلمون العلم فريضة ويتّجهوا نحوه كفريضة دينيّة، وهذا هو الضامن الأساسيّ للرشد العلميّ في العالم. لقد سمعتم هذا الأمر، لكنّني لا أعلم كم قمتم أيّها الشباب بالعمل عليه وكم طالعتم بشأن تلك القرون التي أعقبت ظهور الإسـلام، والتي كان فيها المسلمون هم الوحيدون الذين يرفعون راية العلم؛ أي إنّه إلى ما قبل ٥٠٠ أو ٦٠٠ سنة، في أوروبا نفسها التي تُعتبر اليوم أمّ العلوم في العالم وتحمل مشعل المعرفة، في أوروبا نفسها كان العلم محدودًا ببعض النسخ الخطّيّة المترجمة عن العربيّة، أو تلك النسخ القديمة لليونان كأرسطو وغيره، وهي أمور قديمة جدًّا، وكان أكثرها في الفلسفة؛ وكان العلم بيد المسلمين.

لقد كانت كُتب الخوارزمي وابن سينا والـرازي وعلماء المسلمين الكبار تُعدّ في أوروبا كالجواهر النفيسة، تتناقلها أيدي أولئك الذين يمتلكون قدرة الفكر والإدراك العلميّ ويمكنهم أن يستفيدوا منها. أولئك الذين كانوا يريدون أن يتعلّموا كانوا يرجعون إلى الجامعات الإسلاميّة. لقد كان مشعل العلم بأيدي المسلمين إلى قرونٍ متمادية، لعلّه إلى تسع قرون بعد ظهور الإسلام؛ هذا هو العمل الذي أسّسه النبيّ في تلك السنوات العشر. لقد قام رسول الإسلام في تلك السنوات العشر بجعل نور الإسلام يصل عبر نصف قرن إلى أبعد نقاط العالم المأهول. في تلك السنوات العشر، قام رسول الله بعمل زلزل أسس الامبراطوريّات الكبرى في





العالم، كما ذكرنا سابقًا، وجعلها تتهاوى. كانت مصر بتلك العظمة وإيران والإمبراطوريّة الرومانيّة كلّها أو معظمها أصبحت بيد المسلمين وقد كانت هذه الأمور جميعًا نتاج أعمال تلك السنوات العشر من قبل رسول الله؛ وما فعله الرسول في تلك المدّة القصيرة كان معجزة في الواقع؛ فلا يمكن أن نتوقّع من أيّ شخصٍ أو نظامٍ أو شعبٍ، ولا يمكن أن يُتصوّر أن يتمكّن في عشر سنوات أنً يُشيّد كلّ هذا البناء التاريخيّ والخالد للبشريّة[١].

- إنّ ترجمة كتاب **القانون** لابن سينا عملٌ معقّد، ومركّب، وقيّم جدًّا. لقد دُوّن هذا الكتاب منذ ألف عام باللغة العربيّة من قبل شخصيّة إيرانيّة، ووجد طريقه طوال القرون لكبريات الجامعات العالميّة المتخصّصة في الطبّ، لكنّه لم يُترجم إلى الفارسيّة. وقد علمت بأنّه إلى فترةٍ قصيرة، أي إلى ما قبل مئة عام مثلًا، كان كتاب **القانون** مطروحًا في مدارس الطبّ في البلدان الأوروبيّة، وتُرجم إلى اللغات الأوروبيّة. أمّا المتكلّمون بالفارسيّة فبقيوا محرومين من قراءته! في أواسط فترة رئاستي للجمهوريّة، التفتُّ إلى هذه النقطة، وتساءلت لماذا لم نترجم كتاب **القانون** إلى الفارسيّة؟[٢].

- يتصوّر البعض بصورةٍ مغلوطة أنّ النزعة العلميّة لا تنسجم مع التوجّه الدينيّ. لقد شاهدت البعض خلال هذه السنوات الأخيرة ممّن يمتلكون الأغراض السياسيّة، ونحن نعرفهم،

١| كلمته بمناسبة الـ ٢٨ من صفر في المعسكر المركزيّ للحرس، ١٣٦٧/٧/١٧- ١٩٨٨/١٠/٠٩.

٢| كلمته في النخب في محافظة كردستان، ١٣٨٨/٢/٢٤- ٢٠٠٩/٠٥/١٤.





ولعلّ أكثر الناس لا يعرفون ما هي أغراض هؤلاء، لكن لأنّنا نحن نعرف هؤلاء من خلال سوابقهم فإنّنا بسرعة نحدس بشأنهم. والبعض الآخر ممّن قد لا يكون لهم أغراض سياسيّة، لكنّهم يشجّعون على هذه الأمور، فإنّهم ومن أجل إلقاء هذه الأفكار يسعون لإيجاد تعارض بين التوجّه الدينيّ والتوجّه العلميّ عند الناس، وهو الأمر الرائج في مجتمعنا اليوم، فهم يريدون أن يوجدوا صدامًا بين التوجّه العلميّ والتوجّه الدينيّ لدى الناس، في حين أنّه لا يوجد بينهما أيّ تعارض؛ لقد عميت قلوبهم واشتبهوا، لأنّه إذا كان الدين دين الإسلام الذي نتّبعه اليوم، فهو الدين الذي يثور، والدين الذي يوجد لكلّ ميدانٍ أبطالًا، إنّه دين يدعو إلى العلم. وفي الأساس، إنّ السبب الذي جعل المسلمين يتمكّنون من حمل مشعل العلم في العالم لقرونٍ مديدة، هو توجّه الإسلام إلى العلم واعتنائه بالمعرفة. فقد استمرّ حمل هذا المشعل لثلاثة قرون، منذ الفارابي وحتّى الخواجة نصير الدين، وذاك على أعلى المستويات لا المستوى المتدنّي. فآراء الخوارزمي في الرياضيّات أو آراء ابن سينا في الطبّ تُعدّ إلى يومنا هذا آراء باقية ولم تُنسف. هي آراءٌ وأفكارٌ ونظريّات بُني عليها، لم تُنسف ولم تبطل. إنّها نظريّات صحيحة وبالطبع قد أُكملت؛ فمن أين نشأت كلّ هذه الأمور؟ لقد نشأت من دين الإسلام، أي إنّ ذاك العامل الأساسيّ الذي أمكن المسلمين من الوصول إلى هذا الأوج العلميّ هو دين الإسلام... لقد كان ابن سينا نفسه عالمًا دينيًّا، وهو بأحد المعاني يعدّ من العارفين، وكان البيروني أيضًا عالمًا دينيًّا







وقد كتب تحقيق «ما للهند!»، وتعلمون أنّ اسم هذا الكتاب قد أُخذ من بيتٍ شعريّ: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. وقد كان متبحّرًا في الرياضيّات وفي الفلك وفي العلوم المختلفة في زمانه. وقد كان الشيخ البهائيّ دينيًّا بكلّ ما للكلمة من معنى، وقد اتّخذت تلك الفروع الدينيّة في زمان هذا الشيخ مسارًا نحو التخصّص المشيخيّ ولم يكن في السابق مثل هذا التصنيف. لقد كان عالم الدين عالمًا في كلّ العلوم، كابن سينا الذي كان له تلامذته في الفلسفة وفي الطبّ، لكنّ الشيخ البهائي هو ابن تلك الحقبة التي اتّخذت فيها المشيخة العلميّة ذاك التصنيف والتخصّص، فأصبح الشيخ متخصّصًا في المنبر والمحراب وببعض العلوم الفلانيّة، فتلك الروح الدينيّة لا يُمكن أن تتعارض مع الروح العلميّة من الأساس بل إنّ الروح الدينيّة هي المعين والداعم للروح العلميّة[1].

١| كلمته في أعضاء «مجمع العلم» صوت الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، ١٣٧٠/١١/١٥- ١٩٩٢/٠٢/٠٤.





إيضاحات

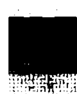
١. المخاطَب

بما أنّ الدّافع الأساسيّ لهذه الرسالة هو تخليص الشباب من تأثير الإشاعات والدعايات الإعلاميّة والثقافيّة التي تريد تشويه الإسلام والمسلمين في أعين الغرب، وفضح المؤامرات الصهيونيّة التي تتصدّى لنشر كلّ هذه الدعايات وتعمل عليها تحت عناوين وحجج مختلفة، فإنّ المخاطَب لا ينحصر بشباب أوروبا وأمريكا، بل يشمل كلّ من يعيش في أجواء هذه الدعايات، سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، ويشمل ذلك كلّ الشرائح وجميع أتباع الديانات، بل حتّى العلمانيّين، والمخالفين للدين، والشباب المهاجر، وكلّ من يعيش في تلك المناطق الخاضعة للهيمنة الإعلاميّة للشبكة الصهيونيّة العالميّة. ولهذا، جاء التعبير بكلمة «العموم» ليشمل كلّ الشباب، كما أنّ استعمال حرف «في» يشمل كلّ من يعيش في تلك المناطق.

٢. أحداث فرنسا

بتاريخ ٧ كانون الثاني ٢٠١٥، وقع الهجوم المسلّح على مكتب مجلّة «شارلي إيبدو» في العاصمة الفرنسيّة باريس. وقد أسفر الهجوم، بحسب السلطات القضائيّة الفرنسيّة، عن سقوط عشرة





جرحى، و١٢ قتيلًا من ضمنهم، بحسب وكالات الأخبار الفرنسيّة: اثنان من رجال الشرطة، وأربعة من رسّامي الكاريكاتور، ورئيس تحرير هذه المجلّة الأسبوعيّة. قام بالهجوم رجلان مقنّعان استخدما سلاح الكلاشينكوف، ولاذا بالفرار مطلقين النار أثناء فرارهما. وقد نُشرت تسجيلات مصوّرة لهذا الهجوم في مواقع الأنترنت المختلفة. وأعلنت الشرطة أنّ المهاجمين قصدا اجتماع هيئة التحرير في مجلّة «شارلي إيبدو»، وكانا يهتفان أثناء خروجهما بنداء «الله أكبر». وقد ذكرا بأنّهما كانا يريدان الانتقام للنبيّ. وفيما بعد، وبعد يومين من هذه الحادثة، أُعلن عن مقتل المهاجمين على أثر الاشتباك مع الشرطة الفرنسيّة. وقد قام من بقي من أعضاء مجلّة شارلي إيبدو، بإصدار عددٍ خاصّ تحت عنوان «الصفح للجميع»، حوى رسمًا كاريكاتوريًّا يرمز إلى النبيّ محمّد في الصفحة الأولى كُتب فيه: «أنا شارلي». وقد قوبلت هذه الحركة باعتراضات شديدة وردود فعل سلبيّة من قبل المسلمين في جميع أنحاء العالم[1].

٣. أحداثٌ مشابهة في بعض الدول الغربيّة

بعد حادثة باريس، وقعت أحـداثٌ مشابهة في كوبنهاغن. فبحسب وكالة رويترز، أدّت هجمات كوبنهاغن إلى مقتل مدنيّين، وجـرح خمسة أشخاص من قـوّات الشرطة في العاصمة الدنماركيّة. بدأ الهجوم يوم الثلاثاء بإطلاق النيران على المشاركين تحت شعار: «الإسلام وحريّة التعبير»، وكان

1 | www.theguardian.com/media/chalie-hebo.





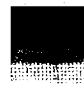
الموضوع: الكاريكاتور المرتبط بالنبيّ. وقد فرّ مطلق النار بعد إرداء قتيلٍ واحدٍ، وجرح ثلاثة أنفار من قوّات الشرطة، ليُقتل فيما بعد أثناء هجوم قامت به الشرطة في منتصف الليل.

وفي العام ٢٠١٠، قبل هذا الهجوم، خطّط أربعة سويديّين من أصول مغربيّة، وشرق أوسطيّة للهجوم على مكتب إحدى المجلّات في كوبنهاغن، التي كانت قد نشرت عام ٢٠٠٥ كاريكاتورًا مسيئًا للنبيّ (ص)، وقد تمّت إدانة أفراد هذه المجموعة عام ٢٠١٢[١].

وفي العاشر من شباط ٢٠١٥، وفي منطقة تشابل هيل، في كارولاينا الشماليّة، تمّ إعدام ثلاثة طلّاب جامعيّين من المسلمين الذين يعيشون في أمريكا، رميًا بالرصاص أعمارهم ١٩، ٢١، ٢٣. وفي اليوم التالي، تعرّض أحد العرب الأمريكيّين في ولاية ميتشيغان، لحملة اعتداء في أحد المتاجر من قِبل رجلين أبيضين. وفيما بعد أي في الثالث عشر من شهر شباط، تمّ الاعتداء على الجمعيّة الإسلاميّة في جنوب شرق هيوستن في ولاية تكساس، حيث تمّ إحراقها. وقد تجاوزت الخسائر ١٠٠ ألف دولار، نتيجة تدمير القسم الأكبر من المبنى. وفي السابع عشر من الشهر ذاته، قبضت الشرطة الأمريكيّة على أحد الأشخاص بتهمة تجهيز قنبلتين لتفجير إحداهما في أحد المراكز الإسلاميّة، والأخرى في أحد المطاعم الشرق أوسطيّة في ولاية تكساس[٢].

1| http:/www.reuters.com/article/2015/02/17/us-denmark-shooting-security.
2| http://www.theguardian.com/prosecutors-seek-death-penalty-muslim-students-craig-hicks.





بالتوجّه إلى هذه الأحـداث، يمكن أن نستنتج بوضوح أنّ معدّل الهجمات والجرائم ضدّ المسلمين في الغرب قد ارتفع بعد هجمات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ بصورة ملفتة. وقد أظهرت نتائج إحدى استطلاعات الرأي الجديدة أنّ الأمريكيّين هم أكثر أتباع الأديـان الذين يحملون مشاعر سلبيّة تجاه المسلمين، وذلك على أثر الأجواء الإعلاميّة السلبيّة التي أطلقها زعماء أوروبا وأمريكا ضدّ الإسلام.

وقد كان للشبكات الإعلاميّة والسياسيّة الأمريكيّة والغربيّة دورٌ أساسيّ في إشاعة مثل هذه الأجواء وما نتج عنها من أفكار وتوجّهات. وقد أُنفقت عشرات ملايين الـدولارات طيلة هذا العقد الأخير، بمشاركة السياسيّين والإعلاميّين والناشطين والخبراء والمؤسّسات المختلفة، من أجل تعميق مشاعر العصبيّة والكراهيّة ضدّ المسلمين. وقد حصلت مثل هذه الشبكات المروّجة للإسلاموفوبيا، على دعمٍ من قبل المؤسّسات الاستخباراتيّة، وذلك بسبب علاقاتها المقرَّبة من أجهزة الشرطة. وقد ساهمت هذه الهجمات ومشاعر الكراهيّة ضدّ الإسلام في مساعي الهيمنة الأمريكيّة خارج أمريكا. أمّا في الداخل، فقد كانت ذريعة مباشرة للاعتداء على الحقوق الفرديّة للمواطنين، ومن ضمن هذه الأمور التجسّس على المكالمات الهاتفيّة، والرسائل الالكترونيّة الخاصّة بالمواطنين. ولم تقتصر الهجمات المعادية للإسلام والمسلمين في السنوات الأخيرة، وداخل المجتمعات الغربيّة، على نشر الأفلام والصور المسيئة لنبيّ الإسلام في فرنسا والدانمارك وهولندا، فحسب، بل وجدنا أحد





القساوسة المسيحيّين يقيم احتفالات لحرق القرآن. ويبدو أنّ كلّ هذه الأمور تندرج ضمن مساعي إيقاف تمدّد الإسلام وانتشاره في الغرب، حيث قيل إنّ المسلمين يمكن أن يتحوّلوا إلى أكثريّة في أوروبا مع حلول العقد الخامس من القرن الواحد والعشرين.

٤. النظرة المسؤولة والمعاصرة

لقد كُتبت هذه الرسالة من قبل مفكّرٍ حريص على الإسلام وقضايا المسلمين على مستوى العالم كلّه، وعلى أساس رؤية مسؤولة ومعاصرة للأحداث والوقائع؛ من قبل مفكّرٍ قلقٍ جدًّا تجاه الأوضاع المستجدّة، والتي يجب التعامل معها بعيدًا عن المسائل الدبلوماسيّة أو المفاوضات المرتبطة بالملف النوويّ وبأسلوبٍ مختلفٍ عن الذي تعتمده الحكومة الإيرانيّة الحادية عشرة في التعامل مع زعماء الغرب.

تسعى بعض الأنظمة في الدبلوماسيّة العامّة إلى تحقيق ارتباطٍ مباشرٍ مع الرأي العامّ في الدول الأخرى من أجل تحسين صورتها وعلاقاتها السياسيّة مع تلك الشعوب، في حين لم تتطرّق رسالة الإمام الخامنئي هذه لأيٍّ من الموضوعات السياسيّة التي تشغل بال النظام الإيرانيّ كقضيّة الملف النوويّ. وإنّما كانت رسالة حول الإسلام، منطلقها رسالة مفكّرٍ وقائدٍ دينيّ لا يفرض آراءه على مخاطبيه، بل يدعوهم إلى البحث عن الحقيقة انطلاقًا من الفطرة والعقل.



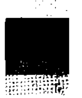


٥. الخطاب المباشر للشباب

إنّ توجّه صاحب الرسالة إلى الشباب وسعيه لإيجاد رابطة فكريّة وثقافيّة معهم هو ليس أمرًا جديدًا، بالتأكيد. فلقد تجلّى منهجه هذا منذ ما قبل الثورة في إطار اللقاءات الشبابيّة في مسجد كرامات في مشهد. واستمرّت هذه اللقاءات بصورةٍ دائمة من خلال اجتماعات الأسئلة والأجوبة مع الجامعيّين حتّى في أيّام قيادته.

إنّ المخاطَب المباشر في هذه الرسالة هو عموم الشباب في الغرب، حتّى وإن لم يكونوا من أهل تلك البلاد الأصليّين، سواء في أوروبا أو أمريكا الشماليّة. بالإضافة إلى الأمل الذي يحمله هذا التوجّه إلى الشباب في الغرب، والقيمة التي يوليها لهؤلاء واجتنابه لإهمالهم، فإنّه ينطلق من النظرة المبنيّة على الميول الفطريّة الموجودة في كلّ شباب العالم نحو الحقيقة والبحث عنها. بعبارةٍ أخرى، فإنّ لحن هذا الخطاب يقوم على أساس لغة الفطرة والتعقّل. وقد حملت حالة الأجـواء المسمومة والدعايات المغرضة المنتشرة في أجواء المجتمعات الغربيّة ـ سواءٌ التي تبثّها الحكومات أو غيرها - هذا القائد الدينيّ على أن يخاطب الشباب الغربيّين الذين يمثّلون قادة المستقبل في مجتمعاتهم وصنّاع القرار فيها، ويتحدّث كقائدٍ دينيّ على أساس العقل، والبحث عن الحقيقة، وحبّ الاستطلاع. الأمر الذي يمكن أن يشكّل بدوره أرضيّةً مناسبةً للتعامل العقلانيّ والفطريّ بين عالم الإسلام وأهل الغرب، علمًا أنّ تحقيق هذا





الهدف المهمّ يتطلّب همّة كلّ الناشطين والفاعلين في الجبهة الثقافيّة للثورة الإسلاميّة، وتوجّه المخاطَبين في هذه الرسالة. لقد أدّت سياسات زعماء الغرب إلى إشاعة أجواءٍ مسمومةٍ تمنع الناس من الاتّصال بالحقائق، وذلك لأجل تأمين مصالح الشركات الكبرى وإبقاء الهيمنة على المجتمعات بالاعتماد على الفكر العلمانيّ والليبراليّ.

وبالتأكيد، فقد ساعدتهم كلّ تلك الأجهزة الإعلاميّة، التي لا همّ لها سوى نشر الأكاذيب من أجل الارتزاق وتأمين المصالح المشتركة، على ذلك؛ وكانت النتيجة أن بقيت أكثر القابليّات الشبابيّة والاستعدادات الكامنة في الأجيال الفتيّة غير فعّالة، ولم تتلقَّ ما تحتاجه من تفعيلٍ وتربيةٍ، فغاص الشباب في مستنقع الغفلة عن إمكانيّة إيجاد أي نوع من التغيير في حياتهم. وكما نعلم، فإنّ الكهول والشيوخ يفقدون نسبةً كبيرةً من الرغبة في التغيير أو الإصلاح، لذلك فإنّهم لا يقومون بأيّ تحرّك مطلوب أو إبداعيّ، ويغضّون النظر عن وقائع العالم وما يجري فيه؛ ولا تكون مثل هذه الحالة في الشباب المتحفّز لتجربة أفكارٍ جديدة وأساليب متجدّدة على صعيد حياتهم ومستقبلهم. فقد يؤمّن مثل هذا الحسّ والرغبة سعيًا من أجل تجربة نماذج حياتيّة وسلوكيّة مختلفة، لأجل اختيار الأفضل من بين القيم والآراء والمنظومات. ويعبّر الخبراء عن هذا السعي الشبابيّ، على طريق الاختبار والتجربّة، بالسعي لكشف الهويّة.

يسمع الشباب من أعماق وجدانهم وضمائرهم نداء المحبّة

والصفاء الذي ينبعث من مركز الميول الفطريّة الموجود فيهم، وينظرون إلى سلوك الجميع بعدالةٍ وحسن ظنّ نظرًا لما يتمتّعون به من صفاء الباطن وطهارة الروح.

إنّ الشباب بطبيعته عاشقٌ للطّهارة المطلقة، ولا يمكن أن يتنازل أو يخضع للقبائح بسهولة. يقول الإمام الخمينيّ، رحمة الله عليه، في حديثه عن هذه الخصائص الشبابيّة: «إنّ هذا الأثر القلبيّ والتصوّر الباطنيّ يكون في أيّام الشباب بصورةٍ أفضل، لأنّ قلب الشابّ لطيف وصافٍ ويكون صفاؤه أكثر من مراحل العمر الأخرى»[١].

وقد أوصى نبيّ الإسلام المكرّم بالشباب قائلًا: «أوصيكم بالشباب خيرًا فإنّهم أرقّ أفئدةً»[٢]. ورُوي عن الإمام الصادق (ع): عليك بالأحداث فإنّهم أسرع إلى كلّ خير[٣]. فمن أهمّ خصائص مرحلة الشباب: طهارة الروح وصفاء الباطن، الأمر الذي يوجد الاستعداد اللازم لأجل القيام بأعمال الخير والصلاح أكثر من غيره.

كما أنّ التحوّلات المهمّة التي تجري في مرحلة البلوغ تجعل الشباب ميّالين جدًّا إلى الدين والسلوك. عندما يصل الإنسان إلى مرحلة البلوغ، تتأجّج مشاعره الدينيّة وتوجّهاته المعنويّة، ما يدفعه إلى التعرّف على كلّ ما يرتبط بالروح والمعنى، ثمّ تأتي المرحلة اللاحقة لتخفّف من شدّة هذا الميل الفطريّ وتخمد هذه الشعلة، فتتحوّل هذه الميول الإيمانيّة والأخلاقيّة إلى ميولٍ

١| روح الله الموسويّ الخميني(قده)، **الأربعون حديثًا**، الصفحة ٤٩٩.

٢| الشيخ عباس القمّي، **سفينة البحار**، الجزء ٢، الصفحة ١٧٦.

٣| **الكافي**، مصدر سابق، الجزء ٨، الصفحة ٩٣.





عاديّة. وقد بذل النبيّ الأكرم (ص) وافر الجهد والسعي من أجل استقطاب الشباب وجذبهم نحو منبع الحقيقة والحسن، لأنّ الشباب يتميّزون عن غيرهم بالاستعداد الأكبر لتقبّل الحقائق. ويشير الإمام الصادق (ع) إلى مثل هذا الاستعداد عند الشباب، فيقول عليه السلام: «من قرأ القرآن وهو شابٌ مؤمن، اختلط القرآن بلحمه ودمـه»[1]. فالشباب الذي لا يخضع لأيٍّ كان، ويظهر كلّ أشكال التمرّد والعصيان مقابل الجميع، يعيش في داخله كلّ أشكال الضعف والدونيّة، ويرى من أعماقه عظمة شخصيّته واقتدارها في ظلّ الدين. ولهذا نجده يبحث عن فلسفة الحياة والمصير في الأطروحات الدينيّة، عسى أن يجد لحياته هذه معنى واقعيًّا. فالشباب يريد أن يتفحّص المفاهيم الدينيّة بواسطة قوّة العقل من أجل الوصول إلى الحقائق، ولا يقبل الاعتقاد والإيمان لمجرّد التقليد، بل يُخضع كلّ شيء للبحث والنقد، ويرى ذلك أساسًا لسلوك طريق التكامل. ففي أعماق الشباب ـ وخصوصًا عند مرحلة البلوغ ميولٌ فطريّة خفيّة نحو الدين والسلوك المعنويّ، تبحث عن إجاباتٍ صحيحة، ما لم تجدها أوقعته في اضطراباتٍ شديدة. إنّ الفكرةٌ الأساسيّة هنا، وبناءً على الرؤية الإسلاميّة الأصيلة، هي أنّ الاستعدادات الفطريّة الإلهيّة موجودة في كلّ الشباب وفي جميع الأزمنة والعصور وفي الشرق والغرب، ومثل هذه الفطرة تحثّ الإنسان بصورة تلقائيّة على التفكّر، والبحث عن الحقيقة، على الرغم من الأجواء الثقافيّة والإعلاميّة الشيطانيّة والتي تهيمن على الغرب،

١ | **الكافي**، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٦٠٣.

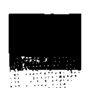


وتحاصر الشباب، وتوقعهم في المضائق الشديدة. وهكذا، بناءً على المباني الإسلاميّة المرتبطة بمعرفة الإنسان، فإنّ كلّ هذه الأجواء والبيئات الفاسدة لا يمكن أن تشكّل مانعًا نهائيًّا أمام إدراك الحقيقة.

٦. السلوك المخادع لزعماء الغرب

إنّ الاستغلال البشع للأحداث الإرهابيّة التي جرت في العقد السابق من قبل الزعماء الغربيّين، جعل المشاهدين والمحلّلين المنصفين والواعين يلتفتون إلى أنّ هؤلاء الزعماء قد حرفوا طريق السياسة عن الحقيقة والصدق؛ ويمكننا أن نشير في هذا المجال إلى الحملة الدعائيّة الكبرى التي سبقت غزو العراق تحت حجّة حادثة ١١ أيلول، وكذلك المسيرات التي جرت في باريس تحت عنوان السلام بعد حادثة مجلّة شارلي إيبدو. ففي هذه المسيرات التي شارك فيها بعض زعماء العالم، وجدنا نتنياهو يسير كتفًا إلى كتف مع هؤلاء الزعماء، مع أنّه كان مسؤولًا عن قتل أكثر من٦٠ إعلاميًّا في الأراضي المحتلّة في عامٍ واحدٍ وهو عام ٢٠١٤. وعلى صعيد قدح الحقيقة المخادعة لزعماء الغرب، يجب أن نطرح عليهم هذه الأسئلة ومنها: لماذا يقوم الغرب بإنتاج الأسلحة بما يفوق إنتاج الغذاء بأضعاف؟ وكيف يمكنهم أن يبرّروا المجازر الجماعيّة بحقّ المدنيّين في غزّة واليمن وسوريا والعراق وأفغانستان وباكستان تحت حجّة أنّهم ملاجئ للإرهابيّين وتهديد للغرب، وأمثال ذلك؟ فما هو ذنب الأطفال والشيوخ والنساء في اليمن، وأفغانستان،

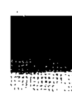




وفلسطين؟ ولو فرضنا أنّ الإرهابيّين يعيشون بينهم، فهل أنّ الحلّ الوحيد هو أن تقوم الطائرات بقصف أعراسهم، وارتكاب أبشع المجازر بحقّهم، وتبديل أفراحهم إلى مآسٍ وعذاب؟! يجب أن نبحث عن جذور هذا التعامل الوحشيّ مع المجتمعات غير الغربيّة انطلاقًا من المباني الفلسفيّة الجديدة في الغرب.

فبعد عصر النهضة، جعلت المدارس الغربيّة الإنسان محور الوجود؛ وانطلاقًا من ذلك، أصبح الإنسان قائمًا بذاته، وتقلّص دور الإله والمعنويّات في الحياة الدنيويّة للبشر، ووصل إلى أدنى حدّ. وفي الواقع، إنّ النزعة الإنسانيّة الغربيّة قد أدّت إلى حذف الروحانيّة والأخلاق من سياسة الإنسان الغربيّ. وفيما بعد، أضحت السياسة في الغرب مبنيّة على أصلٍ واحدٍ وهو «الغاية تبرّر الوسيلة». وارتكزت مثل هذه السياسة الغربيّة بعد عصر النهضة على آراء وأفكار ماكيافيلّي، وتوماس هوبز، وجان لوك، وجان بدون، وجان جاك روسو. ومن بين هؤلاء المفكّرين، كان ماكيافيلّي الداعي الأوّل لضرورة فصل الأخلاق عن السياسة، واستعمال أيّ وسيلة ممكنة، سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، لتحقيق الأهداف المجازة من قبل السياسيّين. فقد كان ماكيافيلّي يعتقد أنّ كلّ زعيم أو حاكم، إذا ما أراد البقاء والنجاح، ينبغي ألّا يخشى استعمال الشرّ والعنف، وذلك لأنّه بدون الشرّ لا يمكن حفظ الدولة. فوفق هذه الرؤية، إذا أرادت الحكومة السلطة والقدرة والحفاظ على بقائها وتحقيق أهدافها، يمكنها أن تتوسّل أيّ وسيلة كانت من قبيل ارتكاب المجازر والخيانة والإرهاب والخداع وأيّ أسلوبٍ، حتّى لو كان





منافيًا للأخلاق والشرف والعدالة.

تعتقد هذه المدرسة أنّ رجال السياسة يجب أن يكونوا واقعيّين وماديّين وجديّين إلى الدرجة التي يغضّون فيها النظر عن المسؤوليّات الدينيّة والأخلاقيّة وأيّ نوع من المشاعر الإنسانيّة التي تقف عائقًا أمام طريقهم، وأن لا يكون لديهم من هدف سوى الوصول إلى مقاصدهم. ويقترح ماكيافيلّي في كتابه المعروف بالأمير prince مجموعة من القواعد والأصول التي ينبغي أن يتّبعها أيّ حاكمٍ، حتّى لو كانت مغايرة للأصول الأخلاقيّة، حيث يقول: «يجبٌ أن تعلموا أنّه في مجال المواجهة والصراع مع الآخرين، لا يوجد سوى طريقين: الأوّل هو القانون، والثاني هو القوّة. فالمنهج الأوّل يليق بالإنسان، والثاني هو منهج السّباع. ولأنّ المنهج الأوّل ليس فعّالًا ومنتجًا، فلا بدّ أن يعتمد الحاكم الأسلوب أو المنهج الثاني. من هنا يجب على الأمير أن يعلم كيف يستعمل منهج السباع، ومنهج الإنسان بصورة جيّدة»[1].

وهكذا، قامت السياسة في الغرب على أساس مثل هذه الأفكار، فاعتمدها سياسيّوه. وبالطبع، نحن لا ننكر أنّ أفكار ماكيافلّي كانت سائدةً عبر التاريخ البشريّ، لكنّها لم تتحوّل يومًا إلى نظريّةٍ منسجمةٍ ومشخّصةٍ تمثّل مرجعًا لسلوك الناس، وبالأخصّ السياسيّين والزعماء. فقد أضحت أفكار ماكيافلّي منذ عصر النهضة وإلى يومنا هذا، البنية التحتيّة للمذاهب الغربيّة

١| ماكيافيلّي، نيكولو (١٣٩٣)، **شهريار**، ترجمة داريوش آشوري (تهران: آكاه، الطبعة ٤)، الصفحة ٤٥.






الأصوليّة التي توجّه الزعماء والسياسيّين في الغرب نحو تحقيق أهدافهم. ولهذا، نجد أنّ سلوك رؤساء أمريكا هو مظهرٌ لسلوك الزعماء في الغرب المتطابقة مع أفكار ماكيافلّي، لأنّهم كانوا يستفيدون من كلّ وسيلةٍ ممكنة من أجل تحقيق أهدافهم ومقاصدهم.

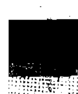
وبالطبع، إنّ هذه التوجّهات نحو أفكار ماكيافلّي في العمل السياسيّ قد أدّت إلى فضائح كُبرى مثل فضيحة «واتر غايت» و«إيران كونترا»، والفضيحة الأخلاقيّة الجنسيّة لكلينتون، وكذلك «العراق غايت».

ربّما نجد في آراء بعض الفلاسفة الغربيّين القدماء مقولات تدعو إلى حكومة الفلاسفة على المجتمع، وضرورة أن يكون الحكّام فلاسفة، لكنّ مثل هذه النظريّات الفلسفيّة لم تلقَ في الغرب وفي سلوك زعمائه أيّ عناية، ولهذا فإنّهم في عصرنا هذا ينظرون إليها كنظريّات تاريخيّة قديمة.

ومن جملة الفلاسفة الغربيّين القدماء، أفلاطون الذي كان يؤكّد على إيداع قيادة المجتمع للشخص النزيه والعقلانيّ، لكي تتحرّك المجتمعات على طريق رقيّها وتكاملها.

ولا بأس أن نشير في هذا المجال إلى تلك القضايا المختلفة على صعيد الفساد الأخلاقيّ والعلاقات غير المشروعة التي سادت في حياة مجموعة من رؤساء أمريكا مثل أندرو جاكسون (١٨٢٩ - ١٨٣٧)، مارتن فان بيورين (١٨٣٧ - ١٨٤١)، جايمس كارفيلد (١٨٨١)، فرانكلين روزفلت (١٩٣١ - ١٩٤٥)، دوايت





آيزنهاور (١٩٥٣ - ١٩٦١)، جان ف. كندي (١٩٦١- ١٩٦٣)، وليندن ب. جونسون (١٩٦٣ - ١٩٦٩)، حيث كانت قضاياهم هذه مثار عاصفةٍ من النقاشات[1].

٧. تشديد رهاب الإسلام بعد انهيار الاتّحاد السوفياتيّ

انتهت الحرب الباردة بانهيار وسقوط الاتّحاد السوفياتيّ، ولأنّ زعماء أمريكا كانوا دائمًا بحاجة إلى عدوٍّ مفترض[2]، فقد جعلوا الإسلام هذه المرّة عدوّهم الرئيسيّ. وفي العصور السابقة، كان هذا العدوّ، على سبيل المثال، سكّان أمريكا الأصليّين، ومن بعدهم السود ثمّ المهاجرون وبعدها النازيّون ومن ثمّ الروس. ونجد أنّ الأفلام السينمائيّة الهوليوديّة مثل أفلام جايمس بوند في الثمانينات والتسعينات وكذلك المسلسلات المختلفة، مثال «نيكيتا»، و«هوم لاند»، و«٢٤ أورز»، وغيرها ساهمت مساهمة كبيرة في تسليط الضوء على ذلك العدوّ المفترض في ذهن الناس.

ومن بعد انهيار الاتّحاد السوفياتيّ، استبدل المؤرّخون الغربيّون التهديد الروسيّ (الخطر الأحمر) بالخوف من الإسلام (الخطر الأخضر)، ولأجل تثبيت نظريّتهم هذه عرضوا مجموعة من الأدلّة المُحكمة لتاريخ الغرب. وفي رأي هؤلاء، يحتاج النظام الليبراليّ الرأسماليّ في الغرب، ولأجل تمتين وحدته الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة، بالإضافة إلى التمسّك بالقيم الليبراليّة

1 | www. Presidentusa.net.
2 | Boogy Man.






والعلمانيّة (الجهات الإيجابيّة)، إلى عنصر العداء (العامل السلبيّ في الهويّة). وفي هذا المجال، سيكون الإسلام من يملأ فراغ سقوط الاتّحاد السوفياتيّ.

ومثل هذا العداء، يترسّخ أكثر عند النظر إلى التعاليم الإسلاميّة السامية التي يمكن لها أن تستقطب القلوب والعقول، فنجد أنّ جان لوغوف في بحث وتحليل أثر الحروب الصليبيّة، يقول: «إنّ تشكّل الهويّة الدينيّة أو القوميّة وترسيخها إنّما يحدث في الحركة الجدليّة الديالكتيكيّة، ويكون الطرف الآخر، سواء كان معارضًا أو معاديًا، سببًا لإيجاد وتشكّل الهويّة والشعور بالانتماء». وقد تمّ قبول مثل هذه الأدلّة التاريخيّة بسرعة، وأضحت هذه الأفكار محورًا أساسيًّا في تفكير الاستراتيجيّين الغربيّين. ومن الملفت أن نعلم أنّ برنارد لويس ومن بعده صامويل هانتنغتون، قد اعتمدا على هذه القضيّة لتثبيت ما يشبه نظريّة صراع الحضارات قبل الحادي عشر من أيلول وبعد انهيار الاتّحاد السوفياتيّ، ونشروا مثل هذه الأفكار على نطاقٍ واسعٍ. فقد نُشرت هذه النظريّة المرتبطة بصراع الحضارات لأوّل مرّة من قبل برنارد لويس عام ١٩٩٠، في مقالةٍ بعنوان «جذور غضب المسلمين»، ومن بعده نشر صامويل هانتنغتون عام ١٩٩٣ مقالةً في مجلّة فورين أفّيرز كتكملة لما قدّمه برنارد لويس. وقد أكّد الكثير من النخب الأكاديميّين للغرب، مثل هال وإدوارد سعيد وغيرهم، على التحليل القاضي بتعمّد اعتبار الإسلام عدوًّا بعد الاتّحاد السوفياتيّ كعامل لتوحيد مكوّنات الغرب. فنجد أنّ موريتمر، لا يكشف، في مقالته التي نشرتها مجلّة «أنترناشونال أفيرز» عام



١٩٩٩، النقاب بصراحة عن سياسة البحث عن العدوّ (wanted a new enemy)، ويقول إنّه في بداية التسعينات شاع هذا التحليل بأنّ عداء الغرب للاتّحاد السوفياتيّ السابق وللمعسكر الشرقيّ قد ساهم بشدّة في تشكيل الهويّة الغربيّة. وبما أنّ هذا العدوّ قد زال، فيجب البحث عن بديلٍ له وذلك لأنّ الطبيعة الإنسانيّة تقضي بأن تقوم الجماعات بتعريف نفسها على أساس النقيض والمخالف. وفي هذا المجال، وجد الكثيرون الحاجة إلى اعتماد تهديدٍ جديدٍ مكان الاتّحاد السوفياتيّ، ويبدو أنّهم قد اختاروا الإسلام بديلًا.

فلو أنّنا التفتنا إلى هذه المسألة، التي أشار إليها آية الله العظمى الخامنئي، عندها لن نحصر التحليل المرتبط برهاب الإسلام والخوف منه في إطار عوامل عدّة مثل ١١ أيلول وداعش وأمثالها، بل سنجد أنّ رهاب الإسلام يُعدّ منهجًا استراتيجيًّا في سياسة زعماء الغرب، ولا ينبغي أن نحصر هذه الاستراتيجيّة في إطار البعد الزمانيّ المحدود ووقائعه الخاصّة، وخاصّةً إذا نظرنا إلى أنّ بعض الدراسات والتحليلات تشير إلى أنّ حادثة ١١ أيلول قد خُطّط لها وتمّ افتعالها من أجل تأمين الأرضيّة اللازمة لمواجهة الإسلام والتوجّه إليه، ومن أجل التعامل العنيف مع المسلمين الجدد. وقد حصلت فلتة لسانٍ تخفي ما في الباطن، عندما أعلن رئيس أمريكا جورج بوش، بعد الحادي عشر من أيلول، أنّ الحروب الصليبيّة قد بدأت[1].

١| راجع: تيري، ميسان (١٣٨٢)، **١١ سپتامبر- دروغ بزرگ** (١١ أيلول- الكذبة الكبيرة)، ترجمة فريدون نوبهار (تهران: نوبهار).





لا شكّ بأن إشاعة الخوف من الإسلام، أو ما يُعرف برهاب الإسلام، يُعدّ من أهمّ الموضوعات الإستراتيجيّة في العالم الغربيّ والمسيحيّ. إنّ مثل هذه الإستراتيجيّة ليست ناشئة من عقيدة صراع الحضارات فحسب، بل نجد لها باعًا طويلًا على مدى التاريخ عندما ندرس الدوافع السياسيّة والاستعماريّة للغرب، علمًا أنّه كان لنظريّات ريمون آرون، عالم الاجتماع الفرنسيّ المشهور، فيما يتعلّق بعدم انسجام وتلاقي الحضارات؛ أو نظريّة المستشرق برنارد لويس، المستشرق والخبير بالشؤون الإسلاميّة المعروف، حول صراع الحضارات ونتائجها؛ أو نظريّة صامويل هانتنغتون الأكثر شهرة في كتابه **صراع الحضارات**؛ دورًا كبيرًا وعميقًا في تشكيل تلك الظاهرة (الخوف من الإسلام)، لكنّ نفي المسيحيّين للمسلمين واعتبار أنفسهم العنصر الأرقى، الأمر الذي له جذور في التعاليم الكنسيّة، هو العامل الأساسيّ للإسلاموفوبيا في المجتمعات الغربيّة. ولهذا منشأ تاريخيّ مشهور، تمّ فيه تسليط الضوء على القرآن الكريم والنبيّ محمّد (ص) وترويج أنّ الإسلام لا يمكن أن يكون منسجمًا مع الحضارة والحريّة ولا يمكن أن يكون عاملًا للتقدّم وأنّه دينٌ غير أخلاقيّ وغير علميّ وأنّه دينٌ استبداديّ[1]. كما لا ينبغي أن نغضّ النظر عن تشكّل المعارف أو الرؤية المسيحيّة والغربيّة للإسلام عبر مواجهات بيزنطيا وصقليا والأندلس. لكنّ العامل الأكبر في تشكل مثل تلك

١| طاهري، مهدي (١٣٨٨)، بازتاب انقلاب اسلامي بر شيعيان لبنان (تأمّلات الثورة الإسلاميّة لشيعة لبنان) (تهران: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ وانديشه اسلامي، الصفحة ١٢٨.

الذهنيّة المسيحيّة التاريخيّة المليئة بالمغالطات تجاه الإسلام، يرجع بشكلٍ أساسيّ إلى الحروب الصليبيّة التي دامت أكثر من مئتي سنة. وحتّى لو لم نتماشَ مع من يقول إنّ الحروب الصليبيّة كانت هي أساس كلّ الفهم المعادي المتبادل الذي نجده في العالمين المسيحيّ والإسلاميّ، إلّا أنّه لا يمكننا أن نغضّ النظر عن أنّ هذه الحروب قد شكّلت ذروة العداء المضمَر الذي كان منتشرًا بين الغربيين تجاه المسلمين. ونجد في التحذير الصريح للقرآن الكريم حول العداء المستمرّ للمسلمين من قبل اليهود والنصارى، كي يتخلّى المسلمون بشكلٍ كاملٍ عن دينهم ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتّى تتّبع ملتهم﴾[1] ما يشير بعمق إلى جذور هذا العداء.

٨. المخاوف المصطنعة عند الغربيّين

إنّ الخوف من سكّان أمريكا الأصليّين أو السود أو المهاجرين أو النازيين أو الروس والاتّحاد السوفياتيّ السابق، هو بعض أنواع الخوف الذي زُرع واختُلق من قبل زعماء الغرب. ونجد أنّ استطلاع الرأي حول المخاوف الأساسيّة للمجتمع الأمريكيّ، الذي قامت به جامعة تشابمن في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، والذي شمل ١٥٠٠ شخص، عام ٢٠١٤، قد ذكر «الخوف من الأعمال التخريبيّة للبشر» كأحد المخاوف الأساسيّة لدى الشعب الأمريكيّ. بناءً عليه، يوجد هناك ٥ مخاوف أساسيّة تندرج

١ | سورة البقرة، الآية ١٢٠.





تحت عنوان تخريب البشر، وهي عبارة عن الأمور التالية بشكل ترتيبيّ:

١. الهجمات الإرهابيّة

٢. الحرب العالميّة

٣. انخفاض قدرة أمريكا وموقعيّتها

٤. الانهيار الاقتصاديّ

٥. هجوم نوويّ أو بيولوجيّ

يُظهر هذا الاستطلاع بشكلٍ واضح مدى ما حقّقته الأفلام والمسلسلات، التي تنتجها بعض الشبكات الإعلاميّة، في مجال التلقين المصطنع لمثل هذه المخاوف. ويُضاف إليها بالطبع الخطاب العامّ لزعماء الدول الغربيّة. إنّ حملات التخويف من الإسلام والدعايات التي تظهر الإسلام بصورةٍ عنيفةٍ وإرهابيّة أدّت إلى أن يعتبر الناس الخوف من الهجمات الإرهابيّة على رأس المخاوف المهيمنة على المجتمع الأمريكيّ.

٩. الدراسات النقديّة التاريخيّة

في مجال الدراسات النقديّة التي تُجرى في الجامعات الأوروبيّة والأمريكيّة، تمّ إيجاد أقسام جامعيّة مهمّتها دراسة مثل هذه الظواهر. وقد كانت الدراسات النقديّة في مجال التعامل مع السود، سواء في الستّينات والسبعينات المتزامنة، مع حرب فيتنام هي بداية مثل هذه الدراسات.





من المسائل المهمّة التي ينبغي الالتفات إليها هي الكتب الدراسيّة في المدارس الأمريكيّة، حيث نجد أنّ هذه الكتب كانت تُعدّ وتُطبع في ولاية تكساس (المعروفة بالولاء للحزب الجمهوريّ)، وفيها نجد كيف يتمّ إلقاء المفاهيم التّاريخيّة في أذهان الشباب.

ولأجل تأمين فريق الخلاص والنجاة من هذه الإلقاءات، يجب أن يبدأ الشباب الغربيّ بداية في معرفة حضارته وثقافته، ويطّلع على التاريخ الذي كان سائدًا وكيف جرت الأمور وسارت، فيتعرّف بذلك على مسار مجتمعه السابق والحاضر والمستقبليّ.

فلو أنّ شباب الغرب لم يطّلع على التاريخ الحقيقيّ للأنظمة السياسيّة التي حكمت الغرب، فلن يمتلك تحليلًا صحيحًا عن عصره. إنّ النزعات العنصريّة والقوميّة التي تجذّرت في البيئات الغربيّة عبر التاريخ، قد تسلّلت إلى جميع وسائل العلوم الإنسانيّة والنظريّات الاجتماعيّة. وإن كانت تلك النزعات المتشدّدة كالفاشيّة والنازيّة أصبحت مستقبحة جدًّا بعد الحرب العالميّة الثانية في البيئة الغربيّة، لكنّ جذورها الثقافيّة لم تُقتلع بالكامل، ولهذا نجد رأسها يشرئبّ كلّما وجدت الظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة المؤاتية. وفي هذا المجال، يتمّ إنتاج عنصريّة بشكل جديد ووجه مختلف. وباللحاظ التاريخيّ، فإنّ نزعة العنصريّة لها جذور عميقة وأصول في الثقافة الأوروبيّة الغربيّة. فالاعتقاد بالتمييز، والتفوّق العنصريّين بارز جدًّا في أفكار وثقافة المجتمعات الغربيّة ومفكّريها ويمتدّ عبر برامج





العلوم الإنسانيّة ونظريّات العلوم الاجتماعيّة على نطاقٍ واسع. وبالرغم من أنّ النزعات المتشدّدة والفاشيّة والنازيّة قد أُدينت على نطاقٍ واسعٍ بعد الحرب العالميّة الثانية في المجتمعات الغربيّة، لكنّ جذورها الثقافيّة لم يُقضَ عليها بالكامل؛ حتّى إذا تحقّقت الظروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة المؤاتية، برزت النزعات العنصريّة والقوميّة بأشكالٍ جديدة وتغييرٍ في المظهر. فمن الناحية التاريخيّة، نجد النزعة العنصريّة والاستعلاء العنصريّ متجذّرًا في الثقافة الأوروبيّة الغربيّة. لا يمكن أن ينكر أحدٌ وجود عقيدة التمييز والتفوّق العنصريّين في المناهج العلميّة للمجتمعات الغربيّة وفي آثار علمائهم. فمنذ ذلك الزمن الذي طُبّقت سياسة نقاء الدم في أسبانيا، حيث كان على كلّ شخصٍ أن يثبت عدم إسلاميّة أو يهوديّة آبائه إلى أربعة أجداد، وحتّى عصر تطبيق السياسات النازيّة العنصريّة في ألمانيا، كانت مثل هذه النزعات غير الإنسانيّة تتولّد من جديد وتبرز بصورٍ مختلفة للغرب. لقد كان تاريخ الاستعمار متلازمًا مع أسس الآراء العنصريّة ومع اكتشاف قارّة أمريكا أضحت مقدّمات تأسيس الحضارة الأوروبيّة الأمريكيّة في الغرب جاهزةً على طريق الاستعمار المتولّد من ظاهرة الغرب الحديث.

١٠. الاستعباد

كنموذج عن الاستعباد، نجد رواية **الجذور الموثّقة** من تأليف أليكس هايلي التي تشير إلى تلك الوقائع الرهيبة. فعندما بدأ الأوروبيّون باستعمار قارّة أمريكا، جلبوا معهم العبيد، من





أفريقيا إلى تلك المناطق الجديدة، من أجل العمل في المزارع والمناجم الجديدة. ومن سنة ١٥٠٠ حتّى ١٨٠٠م، نُقل حوالي ١٥ مليون شخص أسود من أفريقيا إلى قارّة أمريكا كعبيد، وكان قد أُسر أكثرهم من قبل أقرانهم السود في أفريقيا. كان أكثر هؤلاء يُوضعون مقيّدين بالأغلال والقيود في أماكن على السفينة كي لا يهربوا مجددًا. وقد مات من مجموع هؤلاء ما يعادل ٣ مليون نفرـ أي واحد من كلّ خمسة ـ أثناء نقلهم إلى القارّة الجديدة. وكان البرتغاليّون الذين حمّلوا السود، يسمّون هذه السفن بالتوابيت، وعندما يصلون بهم إلى أمريكا كانوا يعرضونهم في المزادات ويحملونهم على العمل في المزارع والمناجم. وقد أُجبر آلاف من هؤلاء على العمل عملًا شاقًّا لساعاتٍ طويلة، في مزارع القطن الكبرى وفي القرى، حيث كانوا يُغَلّون بالقيود الغليظة لمنعهم من الهروب، وكان ضربهم بالسياط من العقوبات الرائجة. أمّا الذين كان يُقبض عليهم عند محاولتهم الهرب، فقد كانوا يضربون حتّى الموت. وصحيحُ أنّ تجارة العبيد كانت قد مُنعت دوليًّا عام ١٨٠٨، لكنّها بقيت رائجة في أمريكا نفسها؛ وقد أدّى ذلك إلى ازدياد نسبة العبيد وعددهم بعد قرار منع الاستعباد إلى ٤ ملايين نسمة. وفي عام ١٨٦٠م، كان هناك من بين مليون وخمسمئة ألف أسرة، تعيش بحريّة في ١٥ ولاية، حوالي ٤٠٠ ألف عائلة (أي الربع تقريبًا) تمتلك العبيد. صحيحٌ أنّه عندما تشكّلت الولايات المتّحدة الأمريكيّة، كان بعض أصحاب البشرة الملوّنة أي غير البيض أحرارًا، إلّا أنّ الاستعباد غالبًا ما كان مقرونًا مع لون البشرة،

وهذه القضيّة هي التي أدّت إلى أن يتمّ وضع قوانين تقوم على أساس تلك العنصريّة.

١١. الاستعمار

إنّ الاستعمال السياسيّ لمصطلح الاستعمار، يشير بشكلٍ أساسيّ إلى منهج تعامل الدول المقتدرة من الناحية السياسيّة، كالدول الأوروبيّة، مع الأراضي المستعمَرة. إنّ الاستعمار كان في الأغلب عمل الدول التي كانت إمبراطوريّات بحريّة، وأدّى عدم اتّصال أراضيها ببعضها البعض، إلى منعها من تشكيل وحدة سياسيّة واحدة كالإمبراطوريات الأرضيّة. إنّ لمفهوم الاستعمار اليوم ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الإمبرياليّة؛ فالاستعمار هو منهج القوى الإمبرياليّة التي تريد أن تتعدّى حدودها، وتتجاوز حدود الآخرين وثرواتهم، وتبسط سلطتها عليهم. إنّ كون الاستعمار أمرًا قديمًا له وجود في تاريخ البشريّة، وكونه اتّخذ صبغة جديدة منذ بداية القرنين السادس عشر والسابع عشر، يتيح لنا تقسيمه إلى عدّة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الاستعمار القديم.

المرحلة الثانية: مرحلة الاستعمار العالميّ.

المرحلة الثالثة: مرحلة الاستعمار خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

لقد كان للتسلّط الاستعماريّ عواقب وخيمة جدًّا، ومنها التخلّف الاقتصاديّ الذي يُعتبر من أكثر النتائج شؤمًا وثقلًا. فقد كان





للاحتكارات التي فرضها الاستعمار أثرٌ كبير في منع تكامل الصناعات الداخليّة في البلدان المستعمرة ومنع تطوّرها التقنيّ وكذلك بناء كوادرها وطاقاتها الداخليّة. لقد كان الاستعمار يفرض على الدول المستعمرة نمطًا خاصًّا من الإنتاج الأحاديّ كالنفط، والذرّة، والنحاس، بحيث تكون كلّ هذه الدول قائمة على اقتصادٍ واحدٍ يلبّي حاجة المستعمر. وكأنّ المستعمرين كانوا يقسّمون احتياجاتهم على البلدان المستعمَرة بغضّ النظر عمّا يمكن أن تؤول إليه مثل هذه الاحتكارات المفروضة.

وقد أدّت هذه الاحتكارات فيما بعد ــ كما شاهدنا ــ إلى تخلّف هذه البلدان المستعمرة، بنحوٍ كبير، ومنع تطوّرها، وذلك بسبب أنّ الاقتصاد الداخليّ حتّى ينهض يستحيل أن يقوم على بعدٍ واحدٍ من الإنتاج، بل يجب أن يكون متوازنًا ومراعيًا للأبعاد المختلفة في الإنتاج والتبادل. وقد فُرض نوع من التعامل التجاريّ مع الدول المُستعمَرة لا تُراعى فيها حقوق المستعمَر أو تلك البلدان، فالمستعمِر يفرض ما يحلو له من شروط على المعاملات الجمركيّة ممّا يمنع هذه الدول من أن تحافظ على إنتاجها المحلّيّ. وقد كان الاستعمار في مرحلته الكلاسيكيّة المعروفة مدافعًا أساسيًّا عن الشرائح الرجعيّة والمستبدّة داخل تلك الدول المستعمَرة، ممّا أوجد طبقات طبعت تلك الدول بطابعها إلى يومنا هذا، ومنها الطبقات الإقطاعيّة والزعامات المستبدّة التي كانت تعتاش على الاستغلال والاحتكار والفئويّة. وفي بعض الدول، فرض الاستعمار نمط الطائفيّة في الأنظمة السياسيّة التي أوجدها، وهي الأنظمة التي تمنع هذه الدول





من أن تتطوّر لأنّها تقوم على أساس المحسوبيّات والانتماءات الضيّقة. ويمكننا أن نُرجع كلّ أشكال التخلّف والفقر في الدول التي تعاني من هذه الظاهرة إلى كلّ أشكال الاستعمار والنهب والتسلّط الإمبرياليّ. وقد يسعى الاستعمار إلى تصوير هذه الظاهرة على أنّها أمرٌ طبيعيّ حصل نتيجة تخلّف هذه الدول، وعدم مواكبتها للتطوّر.

وبعد الحرب العالميّة الثانية وفقدان الدول المستعمِرة الأولى، كإسبانيا والبرتغال وإنكلترا وفرنسا، الكثير من قدراتها، قامت بالتخلّي عن جزءٍ مهمٍّ من مستعمراتها، واستبدلت الاستعمار القديم باستعمارٍ جديد لا تعتمد فيه، من أجل إحكام سيطرتها على الدول والتسلّط عليها، على الأساليب التي اعتمدتها بوجود القوى العسكريّة. وكانت أمريكا هي فاتحة عهد هذا الاستعمار الجديد.

يمكننا أيضًا أن نقف عند ظاهرة جديدة للاستعمار، ونطلق عليها تسمية «الاستعمار ما بعد الحديث»، وهو الاستعمار الذي يعتمد السيطرة على القلوب والعقول والغزو الثقافيّ واستخدام وسائل الإعلام وصناعة الرأي العامّ الذي يتناسب مع أغراض القوى الكبرى، علمًا أنّ الشبكة الصهيونيّة العالميّة تمتلك قسمًا مهمًّا من أدواته ووسائله. وتبتكر هذه الدول التي اعتاشت على الاستعمار وبنت اقتصاداتها عليه، في كلّ حين، أسلوبًا جديدًا للاستمرار في هيمنتها هذه، ونراها اليوم تطرح قضايا قيميّة، كحقوق الإنسان والمرأة وغيرها من المسائل، للضغط على





هذه الدول وتوجيهها للتخلّي عن ثقافتها وشؤونها ولتخضع لها. ولا ننسى دور العملاء في كلّ هذه البلدان على صعيد تثبيت العلاقات والخضوع للدول والقوى الكبرى.

١٢. الظلم الذي لَحِق بالملوّنين وغير المسيحيّين

بالنسبة للتمييز العنصريّ في الغرب، الذي يعود إلى فترات زمنيّة مديدة، فإنّ ما جرى عام ٢٠١٤ في مدينة فيرغسون، على سبيل المثال، يتعارض بشدّة مع ما يدّعيه هذا الغرب من حماية حقوق الإنسان. ففي التاسع من شهر آب لعام ٢٠١٤، قام شابّ يُدعى مايكل براون (١٨ سنة)، من سكّان منطقة فيرغسون، بسرقة علبة سجائر، وعندما طاردته الشرطة أطلقت عليه النار وأردته قتيلًا، دون أن يكون بحوزته أيّ سلاح، بل كان، قبل إطلاق النار عليه بلحظات، يرفع يديه إلى الأعلى مستسلمًا. ومنذ ذلك الوقت، اشتدّت الاحتجاجات في تلك المدينة وتصاعدت. وقد اعتبر السود في أمريكا ما أقدمت عليه الشرطة وما جرى فيما بعد في المحكمة من تبرئة المتّهمين من القتل العمديّ، أنموذجًا بارزًا للتمييز العنصريّ والظلم الذي كان يلحق بالسود[1]. وفي بداية صيف ٢٠١٤، قام ضبّاط الشرطة في مدينة نيويورك، بالقبض على أحد السود الأمريكيّين المدعوّ إريك غارنر، لأنّه كان يبيع السجائر من دون دفع الضرائب؛ لكنّهم لم يكتفوا باعتقاله بل عاملوه بوحشيّة شديدةٍ أدّت إلى موته. إنّ حصول مثل هذا الحدث في مدينة تزيد نسبة سكّانها السود

1| www.newsweek.com/what-happened-fergusoon-missouri-today-265010.



على ٧٠٪، له مدلولات خاصّة، كما أنّ المسألة الملفتة ها هنا هي أنّ نسبة البيض في شرطة هذه المدينة تتجاوز الـ ٧٠٪، ومثل هذا الأمر يُعدّ مقدّمةً للظلم الاجتماعيّ والإجحاف بشأن حقوق السود، هذا في حين أنّه يتمّ تلقين الشعب الأمريكيّ على الدوام بأنّه يعيش في أفضل الظروف والأوضاع والإمكانات قياسًا مع شعوب العالم. وها هي أمريكا، التي تدّعي، ولسنوات، أنّها حامية حقوق الإنسان ومحاربة للإرهاب، تطرح علينا هذا السؤال أو تبرزه في الأذهان: لماذا يسكت زعماء أمريكا مقابل كلّ هذا التمييز العنصريّ، لا بل يقومون بدعمه وحمايته نوعًا ما؟

ومن النماذج الأخرى المرتبطة بهذا المجال، ما جرى عام ١٩٩٣ في الثامن والعشرين من شباط. في ذلك اليوم، قام مأمورا وكالة FBI في الولايات المتّحدة الأمريكيّة بأمرٍ من المحكمة الأمريكيّة بالهجوم على مقرّ فرقة الداووديين بقيادة دايفيد كوريش في مدينة بيكو في ولاية تكساس، وحاصروا هذا المركز ثمّ قاموا بإحراق من فيه وهم أحياء.

١٣. الحروب الدمويّة باسم الدين

لقد أدّى ظهور المذهب البروتستانتيّ في أوائل القرن السادس عشر الميلاديّ إلى حدوث تصدّعٍ عميق بين أتباع المسيحيةّ، نتج عنه نزاعٌ طويل بين الكاثوليك والبروتستانت على مدى العقود اللاحقة. وقد جرت إحدى الحروب المعروفة بين أتباع





البروتستانتيّة والكاثوليك في العقد الثاني من القرن السابع عشر، واستمرّت لمدّة ثلاثين سنة. وفي الثالث والعشرين من شهر أيّار عام ١٦١٨م، قام بروتستانتيّو تشيكيا الذين كانوا قلقين من تحديد حرّيتهم من قبل فرديناند الثاني، الأمبراطور المقدّس للروم، بقتل مبعوثيْه. وهكذا، بدأت حروب الثلاثين سنة في أوروبا. وقد حدثت هذه الحروب بشكلٍ أساسيّ أوّلاً في ألمانيا، وكانت وتيرتها متفاوتة كثيرًا. وطوال مدّة هذه الحروب، دعمت فرنسا والسويد والدانمارك البروتستانت. أمّا إسبانيا وروما فكانتا تدعمان الكاثوليك. وقد انتهت حروب الثلاثين سنة المذهبيّة في أوروبا بموجب عقد معاهدة «وستفاليا» في عام ١٦٤٨، إلّا أنّ إسبانيا وفرنسا استمرّتا بالحرب إلى حين توقيع معاهدة بيرنه عام ١٦٥٩ م. وقد أدّت هذه الحروب المتواصلة إلى تخريب ألمانيا وتقسيمها وإضعاف سيطرة الكنيسة الرومانيّة. وبالإضافة إلى الخلاف المذهبيّ بين الكاثوليك والبروتستانت، الذي هو العامل الأساس في اندلاع هذه الحروب، هناك عوامل أخرى كانت تسعّر هذا الخلاف وهذا النزاع، ومن ضمنها النزاعات على بعض المناطق وسياسات بعض الدول في هذه القارّة.

ومن النتائج المهمّة لهذه الحروب النهائيّة النسبيّة للنزاعات المذهبيّة بين البروتستانت والكاثوليك، وبداية النزاعات القوميّة والعنصريّة في أوروبا. وقد أدّى هذا أيضًا إلى العلمانيّة وفصل الدين عن السياسة. وبعبارةٍ أخرى، فإنّ من أهمّ الوقائع الاجتماعيّة المهمّة لفصل الدين عن السياسة هي تلك الحروب ومعاهدة «وستفاليا» التي تمّ الاتفاق فيها على إضعاف القدرة






الاقتصاديّة للكنيسة، والتقليص من النفوذ الاقتصاديّ الذي تمتّعت به خارج نطاقها[1].

١٤. الحربين العالميّتين الأولى والثانية

بدأت الحرب العالميّة الأولى عام ١٩١٤، واستمرّت حوالي أربع سنوات وفيها قُتل أكثر من عشرة مليون نسمة. وقد استمرّت التبعات الاقتصاديّة والاجتماعيّة الهائلة لهذه الحرب ـ التي اشترك فيها قسمٌ كبير من شعوب العالم ـ لسنواتٍ مديدة.

وفي الحرب العالميّة الثانية، تصادمت الشعوب مرّةً أخرى من العام ١٩٣٩ وإلى العام ١٩٤٥، وذكرت بعض التقارير أنّ هذه الحرب حصدت أكثر من خمسين مليون نسمة، وكانت أكثر الحروب العالمية اتّساعًا، وفيها ألقت أمريكا قنبلتين نوويّتين على مدينتي هيروشيما وناكازاكي، وتسبّبت بمقتل عشرات الآلاف دفعةً واحدة. وذُكر أنّ السبب الأساسيّ لهاتين الحربين المخرّبتين هو تنافس الدول الغربيّة للسيطرة على الأراضي، وتوسيع نفوذها في البلدان الأخرى. وتُعدّ هاتان الحربان من معالم الأزمة الحقيقيّة لعصر الحداثة، في هذا العصر، الذي افتتحته هذه الدول في القرن التاسع عشر، وأُعلنَ عصرًا للنهضة والرفاهية والاستقرار وتحقيق الجنّة على الأرض.

1 | Daneshnameh.roshd.ir.





١٥. التأخّر في يقظة الوجدان العامّ

على أعتاب هذا السؤال، يمكن أن نطرح التالي: ما هو التعليل للتغطية على جنايات بعض الزعماء، وتجنيبهم المحاكمة على مستوى الرأي العامّ ومن قبل المحاكم الصالحة والحياديّة أثناء حياتهم؟ ولماذا تمّ إفشاء جرائم بعض الزعماء بعد موتهم؟ وما هي الفائدة من وراء ذلك؟ إنّ من النماذج التاريخيّة المؤسفة هو استخدام أسلوب الإعدام من دون محاكمة (اللينش) في قتل السود في عصر استعباد الغربيّين للدول الأفريقيّة. إنّ البحث من أجل الوصول إلى الوقائع المرتبطة بهذه الجرائم يضع كلّ محقّقٍ ومؤرّخٍ منصفٍ أمام وقائع مرّة ومؤسفة جدًّا، تذكّرنا بجرائم جماعة داعش الإرهابيّة، إلّا أنّها أوسع وأكثر وحشيّةً! فما هو ذنب هؤلاء السود والمستعبدين؟! وماذا فعلوا لكي تنزل عليهم مثل هذه المصائب؟! لقد كانت جريمتهم، في الواقع، هي أنّهم حاولوا أن يهربوا من العبوديّة ومن استعباد الرجل الأبيض، أو أنّهم اعترضوا على المعاملة الوحشيّة التي تلقّوها. لقد كانت التهم الواهية والفاقدة للدليل تلصق بهم من قِبل هؤلاء البيض، وكانت تجري محاكمتهم دون قضاءٍ حقيقيّ، أو من خلال المحاكم الصوريّة حيث يتمّ اتّهامهم بارتكاب الجرائم كالقتل والخطف والاعتداء والاغتصاب والسرقة وأمثالها.. ويتمّ ذلك مباشرة من قبل جماعات البيض الذين يعيشون في أمريكا الشماليّة دون أن تكون لهم أيّ موقعيّة رسميّة أو قانونيّة، حيث تتمّ معاقبة السود بحضور بضع أنفار من الشباب والشيوخ وحتّى الأطفال البيض، بالإضافة إلى الشخصيّات الرسميّة، كرئيس





البلديّة، مع تواجد الشرطة كمتفرّج على ما يجري في هذه المراسم، بل وكمشارك أحيانًا في هذه الوحشيّة والهمجيّة.

وقد كان هذا الإعـدام من دون محاكمة (اللينش) في حقّ العبيد والسود يشتمل على قيام المجموعات البيضاء بالمعاقبة الجماعيّة، وإعدام أو قطع أعضاء البدن، وتنفيذ عمليّات قتل وحشيّة. ويُعدّ الإعدام من دون محاكمة (اللينش) في الولايات الأمريكيّة الشماليّة إحدى الجرائم الشديدة التي تتمّ المعاقبة عليها، وهي لم تعد موجودة الآن.

وقد قام بعض المحقّقين والمؤرّخين الغربيّين مؤخّرًا باستعادة ذكرى هذه المراسم غير الإنسانيّة، ونقد هذه المرحلة السوداء من تاريخ أمريكا الشماليّة، وأعلنوا تأسّفهم وندمهم على ذلك. ولكن يا ليت هذه اليقظة الوجدانيّة الشعبيّة في أمريكا الشماليّة لم تتأخّر لأكثر من مئة عام، وحدثت في الوقت المناسب كي ينجو عندها أكثر من خمسة آلاف إنسان تمّ إعدامهم من دون محاكمة ظلمًا وعدوانًا.

١٦. الحؤول دون تشكّل الرأي العامّ

إنّ من أكبر شعارات الوسائل الإعلاميّة الغربيّة وادّعاءاتها هو أنّها تعيش في ظلّ الحريّة الإعلاميّة وحريّة الرأي، وتسعى لنشر الوعي وإيصال الحقيقة للجميع ولكلّ من يحتاج إليها. إنّ أنشطة مئات القنوات التلفزيونيّة باللغات المختلفة والرساميل الهائلة جدًّا، ومن أجل تشكيل رأيٍ عامّ والتأثير على الذهنيّة





العامّة؛ وتأسيس عشرات الشبكات من أجل المشاهدين غير الغربيّين، خصوصًا الإيرانيّين؛ لهي دليل على سعي هذه الوسائل الإعلاميّة الغربيّة من أجل نقل المعلومات التي تريدها، وإلقاء المفاهيم التي تتناسب مع وجهات نظرها. وهنا يُطرح السؤال الأساسيّ حول مدى صدقيّة هذه الوسائل في نقل الحقائق الإسلاميّة إلى مشاهديها ومخاطبيها، وهل أنّها أعطت الفرصة والأجـواء المناسبة لبيان المبادئ والآراء والأصـول الإسلاميّة للعلماء والمفكّرين الإسلاميّين؟ وهل أنّها محايدة وحرّة في تفكيرها عندما تريد أن تبيّن الثقافة الإسلاميّة والفكر الإسلاميّ؟ فهل أنّها في الوقت الحاضر لا تقوم بنقل الآراء والتحليلات السخيفة والمغرضة، وبتجاوز تلك القضايا الأساسيّة والمهمّة، وبمنع تحقّق المعرفة الصحيحة بالإسلام؟ لماذا رغم كلّ تلك الادّعاءات للحريّة وغيرها، لا تسمح بتعرّف الشباب والعلماء الغربيّين على الحقائق الإسلاميّة بصورة مباشرة؟ إنّ تجارب عشرات السنين الماضية تدلّ على أنّ الغرب يسعى بصورة مباشرة ومؤكّدة لمنع تشكّل الوعي الصحيح والمعرفة الدقيقة حول الإسلام والمسلمين[1].

١٧. الإسلام بمثابة الآخر

تشير الدراسات التاريخيّة إلى أنّ الزعماء الغربيّين قد شكّلوا روح هويّة مجتمعاتهم، وسوّقوا لها من خلال إظهار الغير كعدوّ.

١ | راجع: ادوارد سعيد، **التغطية الإعلاميّة للإسلام في الغرب**، ترجمة عبد الرحيم غوهي.






وبشكلٍ عامّ، تُعدّ المواجهة ضدّ العالم الإسلاميّ عنصرًا مهمًّا في تشكّل أوروبّا الغربيّة وهويّة الغرب. لقد استُخدم مصطلح الأوروبيّين لأوّل مرّة في القرن الثامن، عند الإشارة إلى انتصار شارل مارتل على القوّات المسلمة في منطقة تور.

لقد ازداد وعي الأوروبيّين تجاه أنفسهم في مواجهة العدوّ الخارجيّ، وكان لهذه المواجهة والوعي الذاتيّ دورٌ في إيجاد نوع من الانسجام الداخليّ. وتمّ تثبيت الهويّة الأيديولوجيّة للغرب المسيحيّ في تلك النزاعات، التي شعرت الدول الغربيّة فيها بنوع من الانتماء لعائلةٍ واحدة، أو حضارةٍ واحدة تحت عنوان الغرب، بالرغم من وجود الاختلافات الداخليّة الكثيرة. وبالتأكيد، كانت نهاية ظهور مثل هذه التحوّلات في البيان التاريخيّ الذي أصدره البابا بيوس الثاني عام ١٤٥٨م، والمبنيّ على اعتبار أوروبّا كيانًا واحدًا في إطار المسيحيّة.

استمرّ الاقتران ما بين أوروبّـا والمسيحيّة على مدى قرونٍ من الزمن، وكانت الهويّة الثقافيّة لأوروبّا وما يميّز حضارتها ويعطيها وحدتها هو الدين والمسيحيّة بالدرجة الأولى. ثمّ على أثر التحوّلات الداخليّة والخارجيّة، أصبحت فكرة أوروبّا تنطبق بصورة أدقّ على الجغرافيا والسياسة والاقتصاد، واتّخذت أوروبّا والغرب فيما بعد هويّةً علمانيّة.

إنّ هويّة الغرب بمفهومها الحديث والعلمانيّ في يومنا هذا نابعة، بشكلٍ أساسيّ، من عنصر العداء للآخر. أفضت المواجهة مع العالم الجديد إلى تقوية هذه الهويّة الجديدة، ولقد غيّر





عصر الاستعمار من الهويّة الأوروبيّة، أو لعلّه بتعبيرٍ آخر تمّ تبديل هويّة الغرب بما يكفل تأمين البُنى التحتيّة الذهنيّة للاستعمار، فحصل نوعٌ من البُعد عن الهويّة المسيحية والتوجّه نحو العلمانيّة. فالهويّة المسيحيّة، حقيقةً، لا تُسهّل عمل الاستعمار، وقد توجِد العديد من الموانع أمام الأوروبيّين، لهذا وجدوا أنّ الهوية الرومانيّة اليونانيّة والهويّة العلمانيّة هي الأفضل لتأمين الذهنيّة المناسبة لمرحلة الاستعمار. ولهذا، تمّ إضفاء الكثير من البهارج على التراث اليونانيّ والرومانيّ في عصر النهضة، فيما كان الواقع يدلّ على أنّ الأمر لم يكن بتلك الدرجة من الأهميّة بالنسبة لأوروبا الجديدة فيما يتعلّق بثقافة اليونان والرومان.

كان الرجوع إلى الأمجاد السحيقة في القارّة الأوروبيّة عنصرًا مهمًّا في انبعاث الهويّة الجديدة. لهذا، احتاج الأوروبيّون إلى عدوٍّ تحت عنوان «الشرق» على طريق تشكيل الهويّة ومعرفة الذات وانبعاث صفة الغرب. وكان الإسلام أهمّ مظهر له. وبالإضافة إلى رهاب الإسلام، فإنّ التوجّه الاستعماريّ الغربيّ استمرّ بنحوٍ آخر، بعد مرحلة أفول الامبراطوريّات.

إنّ التعامل العنصريّ مع المهاجرين والأقليّات القوميّة والأعراق، لا ينحصر في مواجهة المسلمين (رهاب الإسلام ومواجهة المسلمين) بل يشمل كلّ آخرٍ مقابل أوروبّا. ففي أوروبّا اليوم، يواجه أبناء أوروبّا الشرقيّة قضايا ومشكلات عديدة توصلهم إلى نتيجة مفادها أنّ وطنهم ليس غربيًّا كفاية أو أوروبيًّا بالمستوى



المطلوب، بل إنّ ألمانيا وفرنسا وإنكلترا هي التي تمثّل أوروبا الأوروبيّة[١]. وباعتراف الكثير من النخب الغربيّة، إنّ ذات الهويّة الغربيّة قد تشكّلت من خلال مواجهة الآخر ومعادته.

يُعدّ رهاب الإسلام أسلوبًا استراتيجيًّا لأجل حفظ حدود الهويّة الغربيّة، في عالمٍ يشتهر بأنّه عالم العولمة والتقارب. بالإضافة إلى هذا الأمر، أصبح الغرب في يومنا هذا، وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، أمام مقولة الإسلام الأصيل الذي يتمتّع بأركان عقلانيّة ومنطقيّة تجعل الغرب في مبانيه النظريّة أمام تحدٍّ ومنافسٍ جدّيّ على المستويين الفكريّ والفلسفيّ. لقد أدركت القوى الكبرى هذه القضيّة وخلُصت إلى ضرورة توجيه التعرّف على الإسلام، من أجل إيقاف هذا التمدّد ومنع انتشاره. وعلى هذا الأساس، وجدت أمامها طريقين لتوجيه وإدارة هذه المعرفة: الأوّل من خلال نشر الخوف من الإسلام، والثاني من خلال اختراع إسلامٍ يُطلق عليه الإسلام المعتدل أو الوسطيّ[٢]. وقد تابعت تلك القوى هذين المشروعين بهدف توجيه الضربات للإسلام الذي هو أساس المقاومة والعداء للاستكبار. ويبدو أنّ المخاطَب الأساسيّ للأطروحة المرتبطة بتوجيه معرفة الإسلام عن طريق نشر الخوف منه هو غير المسلمين. أمّا المشروع الثاني المرتبط باختراع إسلامٍ جديد، فإنّ مخاطَبيه هم المسلمون. ولعلّه من الجدير أن نذكر أنّ نظريّات برنارد لويس في صدام الحضارات، أو ريمون آرون، العالم الاجتماعيّ

1 | European Europe.
2 | . Moderate Islam.



الفرنسيّ المعروف، "في عدم انسجام الحضارات"، أو صامويل هانتنغتون في نظريّته "صدام الحضارات" كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في تشكّل ظاهرة الخوف من الإسلام.

١٨. التصوير المغلوط للإسلام

إنّ قضيّة تجنّي وسائل الإعلام على الإسلام والمسلمين تُعدّ ظاهرةً عجيبة ومدعاة للكثير من التأمّل. لا يوجد في تاريخ البشريّة مثل هذه الظاهرة التي تتضافر فيها الوسائل الثقافيّة بهذا الشكل على طريق خدمة الأهداف السياسيّة المنحطّة، ويمكن اعتبار حجم الاستفادة من القنوات الفنّيّة لأجل إلقاء العداء وقلب الحقائق في العالم، من الظواهر التي لا نظير لها في تاريخ البشريةّ، وفي الكثير من المواقع في أجواء الإعلام الغربيّ. ما يتعرّض للهجوم ليس هو المسلم أو الإسلام بل التصوير المرغوب به للغرب حول الآخر الذي يجري تقبيحه. فعلى سبيل المثال، نجد أنّ تيو فان جوخ، المخرج الهولنديّ المشؤوم الذي تعرّض قبل عدّة سنوات لإطلاق النار والضرب بالمطرقة من قبل أحد المسلمين المتشدّدين، يدّعي أنّ المسلمين يقيمون علاقات جنسيّة مع الماعز، وفي فيلمه الموهّن، يستعرض امرأة مسلمة ظهرها مليء بالكتابات القرآنيّة.

نجد في يومنا هذا أنّه يستفاد من كلّ موضوع (من تقبيح الختان إلى تقبيح الإسلام السياسيّ) من أجل ترسيخ العداء للإسلام والخوف منه على مستوى أوروبّا والغرب. ولا يمكن





للإسلاموفوبيا أن يتحقّق في الأساس دون الوسائل الإعلاميّة، حيث يتم الترويج في الغرب لمقولة رهاب الإسلام بصورة دعايات مصطنعة عن الإسلام بعيدة كلّ البعد عن الواقع.

في الواقع، إنّ الخوف من الإسلام هو نوعٌ من توجيه الأذهان والتصوّرات، التي غالبًا ما تتمّ بواسطة وسائل الإعلام. ويمكن أن نضع فاعليّة التصوير المغلوط حول الإسلام وأهمّ الإجراءات ضدّ هذا الدين ضمن المحاور التالية:

- **الطعن المباشر بالإسلام والمسلمين بواسطة الإعلام**

يمكن أن نضع الكاريكاتورات التي نُشرت في جريدة يولاندز بوستن الدنماركيّة في الثلاثين من شهر أيلول ٢٠٠٥ م، ضمن هذا المسار والسياق. فقد نشرت هذه الجريدة ١٢ كاريكاتورًا يستهزئ بالنبيّ الأكرم (ص)، اعتبرها الكثير من خبراء الفنّ مبتذلة وخالية من المعنى. وقد ترافق نشر هذه الكاريكاتورات مع مقالةٍ لرئيس تحرير هذه الجريدة يتعجّب فيها من تلك الهالة المقدّسة التي أوجدها المسلمون حول نبيّهم، ويدينها معتبرًا هذا النوع من التقديس هراءً ينطلق من جنون العظمة، وشجّع المسلمين على كسر هذا «التابو» أو المحرّم عن طريق فضح التاريخ الأسود لقائد الرسالة الإسلاميّة، وإظهار حقيقته للرأي العامّ العالميّ. وبالنظر إلى نسبة حضور «رهاب الإسلام» في الجرائد الأوروبيّة، يُستدلّ على انبعاث تيّار رسميّ للتخويف من الإسلام.

وقد قام المحلّلون الغربيّون الحاليّون بتقديم تفاسير منحازة

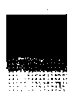
بشأن المسلمين والإسلام في الوسائل الإعلاميّة المختلفة، واستفادوا من وجوهٍ مسلمة معادية للدين من أجل تشويه صورة الإسلام في تلك الوسائل الإعلاميّة الغربيّة. ففي هولندا، أصبحت «آيان حرسي عليّ» المرأة المسلمة الصوماليّة التي ارتدّت عن الإسلام وبدأت بالتهجّم عليه، شخصيّةً وطنيّة. وكنموذجٍ آخر، هناك قليلة الدين النروجيّة الباكستانية الأصل شعبانة رحمن التي نشرت صورها عارية ترتدي علم النروج وتتخلّى عن لباسها الباكستانيّ. وقد قام «المركز الأوروبّي لمواجهة العنصريّة وكره الأجانب» بتوجيه اللوم إلى وسائل الإعلام الأوروبيّة لاستغلالها الصور والكليشيهات السلبيّة من أجل اعتبار المسلمين إرهابيّين وطابورًا خامسًا.

● الإساءة للمسلمين والإجراءات الأمنيّة البوليسيّة ضدّهم

في ألمانيا: يُعدّ قتل مروة الشربيني، المرأة المسلمة المصريّة، عام ٢٠٠٩م، من قبل أحد الأفـراد ذوي الميول العنصريّة والمعادية للإسلام، داخل محكمة مدينة درسدن الألمانيّة، نموذجًا بارزًا للأوضاع الوخيمة التي يعيشها المسلمون، خصوصًا في المدن الشرقيّة الألمانيّة. ومن الملفت أنّ ضابط الشرطة الذي أراد التدخّل، دخل غرفة المحكمة وأطلق النار مباشرةً على زوج السيّدة الشربيني، وأثبت للأذهان الغربيّة أنّه ينبغي في مثل هذه الحالات أن يكون المعتدي أحد المسلمين.

في فرنسا: لقد تعرّض رشيد الأرجوني، وهو أحد المهاجرين الجزائريّين البالغ من العمر ١٧ سنة، في ظروفٍ معيّنة وأثناء



استلقائه على الأرض إلى رصاصة من الخلف أطلقها رجال الشرطة. وقد حصل الضابط المسؤول عن إطلاق النار على حكم استئنافيّ من قبل المحكمة التي قامت أيضًا بتخفيض قيمة الفدية التي دُفعت لعائلة الضحيّة.

في إنكلترا: في الحادي عشر من آب ٢٠٠٥م، أي ما لا يقلّ عن شهر واحد من التفجيرات التي حصلت، أعلن تشارلز كلارك، وزير الداخلية البريطانيّ، أنّه تمّ طرد عشرات المسلمين خارج البلاد بحجّة تهديد الأمن القوميّ[١].

في بولندا: بعد أسبوعٍ من قتل تيو فان جوخ المخرج الهولنديّ الذي أنتج فيلمًا مهينًا للإسلام، أعلن معاون رئيس الوزراء الهولنديّ الحرب على الإسلام المتشدّد ـ بحسب تعبيره ـ وفي نفس الوقت سُجّلت أكثر من عشرين حالة هجوم وتعرّض للمسلمين في هولندا.

- **الإقبال على الأحزاب اليمينيّة المتشدّدة المعادية للإسلام**

في عام ١٩٩٩ م، فازت حركة الحريّة النمساويّة بقيادة يورغ هايدر بالمقام الثاني في الانتخابات المحلّيّة، وهذه الحركة معروفة بعدائها للمهاجرين والأجانب. وفي إيطاليا حصل حزبان، معروفان بعدائهما للأجانب، على غالبيّة الأصوات في انتخابات ٢٠٠١ م. وفي انتخابات ٢٠٠٢م جان ماري لوبان، وهو الشخصيّة المعروفة بعدائها للمهاجرين في فرنسا وزعيم الجبهة الوطنيّة، تصدّر لائحة المرشّحين للدورة الثانية من انتخابات

1 | . Alan Cowell, 2005:7.





رئاسة الجمهوريّة، وأصبح منافسًا لـ «جاك شيراك».

في عام ٢٠١٠م، وبعد الانتخابات البرلمانيّة الهولنديّة حصل اليمينيّون المتشدّدون على نسبة مهمّة من الأصوات، فأصبح لهم دور وشراكة في الحكومة التي تشكّلت بعد هذه الانتخابات. وقد أصبح غرت ويلدرز، زعيم اليمينيّين المتشدّدين والشخصيّة المعروفة بعدائها للإسلام، عضوًا في تلك الحكومة. وقد حصل اليمينيّون المتشدّدون في السويد على مقاعد مهمّة في الانتخابات التي جرت، وكان محور دعاياتهم الأساسيّة التهجّم على الإسلام. أمّا في ألمانيا، فقد تزايدت الأبحاث المخوّفة من الإسلام.

لقد وصل الحديث حول رهاب الإسلام في ألمانيا إلى أوجّه عندما قام تيلو سارازين عام ٢٠١٠، وهو السياسيّ والعضو السابق في الهيئة الإداريّة للبنك الألمانيّ الفدراليّ، بنشر كتاب تحت عنوان **ألمانيا تمحو نفسها**، أشار فيه إلى أنّ المهاجرين المسلمين هم من ناحية الجينات أقلّ ذكاءً، وأنّ عوائدهم ونتاجهم يقود ألمانيا لتكون دولة شعب غبيّ.

وفي شهر تشرين الأوّل من نفس العامّ، أعلنت المستشارة الألمانيّة ميركل أنّ سياسة التعدّديّة الثقافيّة قد فشلت. وفي فرنسا، كان رئيس الجمهورية ساركوزي وراء مقولة «رهاب الإسلام»، وبالإضافة إلى إقرار القوانين التي تقيّد المسلمين، زاد من حساسيّة الشعور القوميّ مقابل المسلمين.





● **إقرار القوانين ضدّ المسلمين**

بدأ هذا التيّار في فرنسا مع إصدار قوانين منع الفتيات من الحجاب. وفي الأعوام اللاحقة، أصدرت سويسرا قانونًا يمنع بناء المنارات في المساجد (وذلك عام ٢٠٠٩)، واستمرّت القوانين التي تمنع بناء المساجد في مختلف دول أوروبا، وتمنع ارتداء البرقع من قبل النساء المسلمات.

وقد طالب حزب الحريّة في هولندا بمنع القرآن، واعتبره مشابهًا لكتابٍ كفاحيّ لأدولف هتلر. وطالب كذلك بفرض غرامات على ارتداء الحجاب.

● **أسباب وخلفيّات**

لا شك بأنّ رهاب الإسلام هو أحد أهمّ الإستراتيجيّات الموضوعة في العالم الغربيّ والمسيحيّ. ومثل هذه الإستراتيجيّة ليست وليدة عقيدة واحدة كصدام الحضارات، بل قد تشكّلت على مرّ الزمن ومدى التاريخ. هذا وإن كان لنظريّات عدم انسجام الحضارات من قبل ريمون آرون (عالم الاجتماع الفرنسيّ الشهير)؛ أو صدام الثقافات لبرنارد لويس، المتخصّص في الشؤون الإسلاميّة والمستشرق المعروف، وكذلك نظريّة صدام الحضارات الأكثر تأثيرًا لصامويل هانتنغتون؛ التأثير الكبير في تشكّل ظاهرة الخوف من الإسلام، لكنّ اعتبار المسلمين مغايرين من قبل المسيحيّين، والنزعة الاستعلائيّة التي تعود إلى بعض التعاليم الكنسيّة، واعتبار التعاليم الإسلاميّة منافية للتقدّم والحضارة والإنسانيّة والأخلاق والعلوم كلّ هذه كانت





من العوامل التي ساهمت بشكلٍ كبير في تشكيل تلك الظاهرة.

وإن كان لا ينبغي إغفال معرفة المسيحيّين والغربيّين عن الإسلام من بيزنطيا وصقليا والأندلس، إلّا أنّ الحروب الصليبيّة التي امتدّت على مدى ٢٠٠ عام كانت المساهم الأكبر في تشكّل الذهنيّة التاريخيّة المليئة بالمغالطات عند المسيحيّين. وإذا لم نؤيّد ما قاله البعض بأنّ الحروب الصليبيّة كانت المنشأ الأساس لجميع الأفكار العدائيّة عند المسلمين والمسيحيّين تجاه بعضهم البعض، لكنّنا نقبل حتمًا أنّ هذه الحروب كانت ذروة تجلّي وظهور العداء تجاه المسلمين عبر الزمن.

ومن زاوية «علم النفس الإعلاميّ» يجب القول بأنّ رهاب الإسلام قد أصبح رائجًا بسبب استغلال ضعف اطّلاع الغربيّين، وضعف بصيرة الوسائل الإعلاميّة، وضعف النفوس كذلك. إنّ لصناعة الخوف في الإعلام الغربيّ جذور في إشغال نفوس الناس، وكأنّ وسائل الإعلام تستغلّ كلّ هذه الأمور في توجيه الرأي العامّ.

يقول شوارتز: إنّ رهاب الإسلام هو «الصناعة الأمريكيّة الجديدة New American Fear Industry». وفي وصف هذه الظاهرة يقول: «تقول لنا مقولة رهاب الإسلام إنّ إرهاب القاعدة هو نتاجٌ طبيعيّ للأصوليّة الإسلاميّة. وإنّ الإسلام بذاته دين العنف وهو يولّد هؤلاء الجهاديّين بصورة تلقائيّة. وأنّ الإسلام الراديكاليّ هو التعبير الدقيق عن الإسلام وهو المنطق الوحيد فيه. وأنّ النتيجة الطبيعيّة هي أن يكون المسلمون تهديدًا لغيرهم، وأنّ ارتباطهم بالأيديولوجيّة الراديكاليّة لا يخفى على أحد. ويمكن أن نعتبر

الكتب والوسائل الإعلاميّة التي تُطرح في هذا المجال، نتاج هذه الصناعة الجديدة في أمريكا. لكنّ رهاب الإسلام ليس مجرّد أمر ذهنيّ بحت بل له تبعات ونتائج واقعيّة، يمكن أن نتلمّسها في ردود الأفعال وفي الاقتصاد وفي التدابير والخطوات العسكريّة للغرب.

١٩. مصالح زعماء الغرب من رهاب الإسلام

من باب المثال، فإنّ وجود مفهوم عشق الشهادة يعني وجود معضلة للمصالح الاستكباريّة ومانع أمام برامجهم التسلّطيّة، وقد كان هذا المفهوم ظاهرًا في مراحل زمنيّة متعدّدة عند مواجهة صدّام وحماته في المنطقة، وكذلك في جهاد ومقاومة حزب الله لبنان مقابل عدوّهم الصهيونيّ الخبيث. لذا، اخترعت جبهة الهيمنة قضيّة الانتحار لأجل مواجهة مفهوم عشق الشهادة وجعلت منه طريقًا تستخدمه وتُروّج له لقتل المدنيّين الأبرياء بأبشع الطرق. هذا في الوقت الذي ذكر الله تعالى مفهوم الجهاد والشهادة طبق الآية ٤٠ من سورة **الحجّ**: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِد﴾، للدفاع عن البشريّة ورفع الفساد طبق الآية ٦١ من سورة **الأنفال** ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها﴾. فالصلح لازم وضروريّ عند تراجع المهاجم المعتدي ويجب إنهاء الحرب. إنّ التفرقة الاستعماريّة والابتعاد عن العقلانيّة وعن منابع الإسلام الأصيل وتقوية هذه الفرق بصورةٍ مباشرة أو غير مباشرة من قبل الحكومات العميلة للغرب، أصبحت وسيلة لنشر تلك الأفكار والتصوّرات والتي







أصبحت الصورة النمطيّة للإسلام في وسائل إعلام الغرب.

٢٠. المعرفة المباشرة للإسلام

إنّ موقعيّة حريّة الفكر والعقلانيّة في فكر آية الله العظمى الخامنئيّ مشهودة بوضوح في هذه الرسالة. فهو المُنظّر والحامي الأكبر والهادي لمقولات على غرار «كرسيّ الفكر الحرّ» داخل إيران. وقد كانت هذه القضيّة عنده دومًا مورد مطالبة ومتابعة. ومن البديهيّ أنّ هذه الفكرة نابعة من المعارف الإسلاميّة الأصيلة.

فعند قراءة **القرآن الكريم** نرى أنّ هناك الكثير من الآيات التي يدعو الله فيها الإنسان إلى التفكّر والتدبّر والتعقّل، كما جاء في آيات هذا الكتاب السماويّ: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾[2].

إنّ حرية التفكير هي الناتج الفعّال للعقل البشريّ في البحث عن الحقيقة وتوسّعها وإعمالها وتطبيقها. لهذا، يجب أن يكون المفكّر الحرّ عالمًا وباحثًا عن العلم من أجل الوصول إلى الحقيقة، سواء اعتمد هذا البحث على قبول الحسّ والتجربة، أو على الاستدلالات العقليّة أو العقل النقليّ. فمنطق الفكر الحرّ، وحريّة الفكر يستوجبان الخروج من مضيقة العقلانيّة

١| سورة الزمر، الآيتان ١٧ و١٨.

٢| سورة يوسف، الآية٢ .






النفعيّة، والاعتماد على العقلانيّة الانتقاديّة على أرضيّة العقلانيّة التفاهميّة، في طريقهما للوصول إلى الحقيقة تحت عنوان الأصل الأصيل للحياة الإنسانيّة. إنّ حرية الفكر تكمن في البحث عن الحقيقة ونقدها عن طريق البراهين العقلانيّة.

وفي ظروف العالم الحاليّة، هناك سعيٌ للحؤول دون طرح الفكر الأصيل من خلال طرح نوع من التفكير يخدم تأمين المصالح اللامشروعة للمستكبرين. وفي مثل هذه الظروف هناك حاجة ماسّة لنهضة عميقة مبنيّة على الحريّة الإلهيّة؛ إلّا أنّ هذه الحركة المهمّة يجب أن تكون ضمن إطار شروط الحريّة، وهنا ينبغي تشخيص القيمة والموقعيّة الواقعيّة للحريّة وربّانية هذه الحركة. يقول أمير المؤمنين عليّ (ع) إنّ من ينهض بأعباء وشروط الحريّة هو الذي يستحقّ الحريّة، وكلّ من أبى هذه الشّروط وقصّر فيها سوف يرجع إلى الرقّ والعبودية: «من قصّر عن أحكام الحريّة أعيد إلى الرقّ»[1].

وانطلاقًا من هذا الكلام الجوهريّ لمولى المتّقين (ع)، نقول إنّه إذا لم تراعَ شروط التفكير الحرّ فيما يتعلّق بما تكون نتيجته القرب الإلهيّ، فإنّ العبوديّة والمذلّة والتبعيّة للغير سوف تقع لا محالة. لهذا، فإنّ حريّة الفكر هي الركن الأساس لرفع الاستعمار ونشر العدالة، وعدم التوجّه إليها موجب للتبعيّة والشقاء.

إنّ العبوديّة والتبعيّة للغير في الأمور المعيشيّة وفي رفع

١| محمّد الريشهري، **ميزان الحكمة** (دار الحديث، الطبعة١، ١٤١٦هـ)، الجزء ١، الصفحة ٥٨٤.



الاحتياجات المادّيّة للمجتمع، هي نتيجة طبيعيّة للتبعيّة الفكريّة ولعدم اعتماد حريّة الفكر، لأنّ الفكر هو البنية التحتيّة لقدرة أيّ شعب على صعيد الإنتاج. إنّ تبعيّة أيّ دولة، وخصوصًا إذا كانت دولة إسلاميّة تعتبر خلْق الإنسان حرًّا هي نعمة إلهيّة، هي محلّ تأسّف وتأمّل، لأنّه وفق كلام أمير المؤمنين (ع) في وصيّته لابنه الحسن عليهما السلام في **نهج البلاغة**، فإنّنا إذا بذلنا ما هو أساس كلّ عزّة وشرف، لا يمكننا أن نجد له عوضًا: «فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضًا»[1]. وأيّ رأسمال أو ثروة أهمّ من الفكر الإلهيّ الذي هو كثير وفائض بين المسلمين ببركة الايمان؟! إنّ عدم الاستفادة من هذا المعنى يستتبع العبوديّة في جميع الشؤون. ومثل هذا إذا حدث، فإنّه يتنافى مع أصل خلق الإنسان حرًّا من قِبَل الله تعالى. فعلى كلّ مسلم يسعى في جميع أموره وشؤونه المادّيّة، أن يسعى على صعيد حريّة الفكر والحريّة الفكريّة، كما قال الإمام الصادق (ع): «اسعَ في طريق حريّة نفسك، مثلما أنّك تسعى لطلب معاشك»[2].

٢١. تحرّك الإسلام وتأثيره في العالم المعاصر

لقد استطاع الفكر الإسلاميّ الأصيل أن يقيم لنفسه حكومة في إيران المعاصرة بقيادة الإمام الخمينيّ (قده)، وبدعم جماهير الشعب والحركة الفكريّة والمعنويّة بعد إسقاط الشاه التابع

١| **نهج البلاغة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ٣١٠.

٢| الميرزا النوري، **مستدرك الوسائل**، باب استحباب الاستغناء عن الناس، الجزء ٢، الصفحة ٣١٠.

للغرب، وقاوم الهجوم الشامل لصدّام المدعوم من أكثر الدول الغربيّة، وديكتاتوريّي غرب آسيا، ولم يتمكّن الأعداء من استلاب شبرٍ واحدٍ من التراب الإيرانيّ.

ولم تُصب إيران بالشلل كما توعّد زعماء الغرب بسبب الخطر والحصار الاقتصاديّ والماليّ، ولم يسقط نظامها، وها هي تصل إلى القمم العالية في العلوم والتكنولوجيا والطاقة النوويّة وغيرها.. هذا بالرغم من المعاناة الاقتصاديّة. أضف إلى ذلك كلّ أشكال الفتن وتشجيع الحركات الانفصاليّة والجماعات الإرهابيّة والتكفيريّة.

٢٢. الجماعات التكفيريّة كوسيلة لرهاب الإسلام

لقد أشار قائد الثورة المُعظّم إلى هذه الحقيقة تحت عنوان «تحت الطلب» عند الحديث عن الإرهابيّين التكفيريّين الذين أصبحوا في خدمة المشاريع المعادية للإسلام. وها هم هؤلاء يُظهرون أرقى المفاهيم الإسلاميّة كالجهاد والشهادة بأبشع الصور.

إنّ الدول الغربيّة تسعى من أجل ترسيخ مبدأ فصل الدين عن السياسة، واختراع دين وهندسة إسلام يطلقون عليه صفة الاعتدال. فخوفهم الواقعيّ من الإسلام يرجع إلى قدرته على تحدّي نظام التسلّط والهيمنة الذي يُسمّى بالنظام العالميّ المتزعّم من لاعبين كبار كالغرب وأمريكا. وبنظر هؤلاء، فإنّ طريق الخروج من هذه الأزمة يكمن في إشعال نيران الفتن بين



المسلمين من خلال تشجيع الجماعات المتشدّدة والمتطرّفة، التي تتفنّن في إظهار العنف والشدّة واللاإنسانيّة كمظهر للدين الإسلاميّ. ومن جانبٍ آخر، لا تكفّ هذه القوى عن تشجيع كلّ تيّار مبتدع يقدّم تفسيرًا منحرفًا عن الدين والإسلام. ولا شكّ بأنّ للإعلام الغربيّ الدور الكبير في كلّ ما يجري.

إنّ سابقة التكفير في العالم الإسلاميّ ترجع إلى عصر صدر الإسلام، حيث راحت جماعة من المسلمين تُكفّر بعض الناس، وكان الخوارج أهمّ من استخدم هذا السلاح.

لقد اعتبر الكثير من الخوارج أنّ مرتكب الكبيرة كافر. وكذلك عدّ بعض المعتزلة الأشاعرة أنّ المشبّهة كفّار. ومن المصاديق الأخرى تكفير الشافعيّين من قِبَل محمّد بن موسى (الحنفيّ قاضي دمشق)، المتوفّى عام ٥٨٦.

وفي المجال النظريّ، فإنّ الفكر التكفيريّ في القرون الأخيرة يرجع إلى أفكار وآراء ابن تيميّة، حيث تستمدّ الجماعات التكفيريّة الحاليّة فكرها التكفيريّ منه. من هنا، إذا أردنا أن نتعرّف إلى أفكار التكفيريّين يجب أن ننطلق من ابن تيميّة[١].

وفي القرن الثاني عشر للهجرة، ظهر محمّد بن عبد الوهّاب في منطقة نجد، ومعه انتقلت الأفكار التكفيريّة من مرحلة النظريّة إلى التطبيق. ففي هذه المرحلة، استخدم محمّد بن عبد الوهّاب كلمات الشرك والكفر بسهولة لوصف المسلمين

١ | مقتطف من رسالة المؤتمر العالميّ: خطر التيّارات التكفيريّة عام ١٣٩٢، الصفحات ٢٠-٢٣.





الآخرين، واستباحة أموالهم ودمائهم وأعراضهم؛ فكتبه ورسائله مليئة بالتكفير. ولم يكتفِ بتكفير عامّة الناس بل شمل علماء الإسلام. ولم يبقَ محمّد بن عبد الوهّاب وفيًّا لأفكار ومباني ابن تيميّة، فاستباح أموال ودماء وأعراض المسلمين. وقد اعتبر علماء الإسلام مشركين بشكلٍ رسميّ وأصدر حكمًا بتكفيرهم في كتاب **كشف الشبهات**[١].

صحيح أنّه مرّ على فتنة التكفيريّين أكثر من مئتي سنة، وقد مرّ هذا التيّار بالكثير من التقلّبات صعودًا وهبوطًا، لكنّ مرور الزمن لم يقلّل من التوجّه المتشدّد فيه أبدًا.

ومن الجدير أن نذكر أنّ هناك بعض الفروقات بين الوهّابيّة والتكفير، ولا يمكن أن نعدّ كلّ فرقة وهّابيّةٍ تكفيريّة. فنحن نشهد اليوم اتّجاه بعض التيّارات الوهّابية نحو الاعتدال، وذلك كردّة فعل على الوقائع والأحداث التي تجري في مجتمعهم وفي العالم الإسلاميّ.

بالطبع، إنّ هذه التيّارات المعتدلة لم تتمكّن من السيطرة على الجوّ المهيمن للوهابيّة، أو التأثير الكبير عليها. ومن جانبٍ آخر، وعند دراسة وتحليل وضع التكفير في العصر الحديث يجب الالتفات إلى أنّ القرن الأخير قد شهد تجارب جديدة على مستوى العالم الإسلاميّ. فوجود أعداء مشتركين كأمريكا وإسرائيل وانتشار أمواج العداء للإسلام والخوف من الإسلام في الغرب، وفي المقابل انبعاث الصحوة الإسلاميّة، كلّ هذه الأمور

١| المصدر نفسه.





مثّلت أرضيّة مهمّة للتقارب بين المذاهب والشعوب الإسلاميّة.

كما أنّ الممارسات البشعة للجماعات التكفيريّة، كالقاعدة وجيش الصحابة وفيلق جهنكوي وحزب التحرير، أدّت إلى أفول الأفكار التكفيريّة في العالم الإسلاميّ.

إنّ الروايات الإسلاميّة هي الشاهد على بطلان المباني الكلاميّة للجماعات التكفيريّة في موضوع الإيمان والكفر، وهي تثبت عدم جزميّة العمل في ماهيّة الإيمان. ونقلًا عن البُخاري: عندما أمر عليّ بن أبي طالب (ع) بفتح خيبر ولأجل مواجهة المؤامرة، قال النبيّ الأكرم (ص): اذهب ولا تلتفت إلى أحد لأنّ الله سيفتح على يديك خيبر، فقال أمير المؤمنين (ع): فلماذا نقاتل هؤلاء؟ فقال له النبيّ (ص): قاتلهم حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فإن فعلوا ذلك عصموا منك دماءهم وأموالهم إلّا ما كان في ذمّتهم من حقّ لله تعالى[١].

نصادف الكثير من الروايات التي يمكن أن نستنتج من مجموعها أنّ التكفير مغاير للأصول، ويحتاج إلى دليلٍ قطعيّ. أي أنّ الأصل عدم التكفير إلّا ما ثبت بالدليل.

وكنموذج على هذا الكلام، ما جاء عن النبيّ الأكرم (ص): «المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»[٢] أي لا يسلمه إلى

١| المصدر نفسه.

٢| الإمام أحمد بن حنبل، **مسند أحمد** (بيروت: دار صادر، لا تاريخ)، الجزء ٢، الصفحة ٩١. البخاري، **صحيح البخاري** (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، الجزء ٣، الصفحة ٩٨.

ظالم أو قوله (ص): «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[١]. وكذلك «إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[٢] أو قوله (ص): «.. ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله»[٣].

وقد جاء في **صحيح البخاريّ**: «من شهد أن لا إله إلّا الله واستقبل قبلتنا وصلّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم»[٤].

ومن أهمّ الفرق التكفيريّة، التي قام بعض الزعماء الغربيّين في السنوات الأخيرة بدعمها من أجل تشويه صورة الإسلام واستغلالهم بصورة بشعة، هم طالبان وداعش والقاعدة[٥].

٢٣. القرآن

إنّ المعرفة التي تنشأ من الرجوع إلى المصادر غير الأصيلة، أو ما ما يُعبّر عنه بالدرجة الثانية لا يمكن أن تكون معرفة صحيحة بالضرورة. ولهذا، لا تتمتّع هذه المعرفة بالاعتبار اللازم ويمكن الخدش بها.

ولأجل التعرّف على الدين الإسلاميّ وإبداء الرأي أو ردّ الفعل

١| **مستدرك الوسائل**، مصدر سابق، الجزء ١٨، الصفحة ٢١٥.
٢| **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ٢٣٢٨.
٣| العلّامة المجلسيّ، **بحار الأنوار** (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة٢ المصحّحة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، الجزء ٦٩، الصفحة ٢٠٩.
٤| **صحيح البخاري**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٠٣، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة.
٥| مقتطف من رسالة المؤتمر العالميّ: خطر التيّارات التكفيريّة عام ١٣٩٢، الصفحات ٢٠-٢٣



تجاهه، ينبغي الرجوع إلى المصادر الأولى والأساسيّة. وفي هذا المجال، فإنّ القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة المرويّة عن نبيّ الإسلام (ص) والأئمّة الأطهار (ع) في أكثر الكتب اعتبارًا، حيث أنّ قسمًا من هذه الكتب قد فقد شطرًا من اعتباره، هو المصدر المباشر لدين الإسلام.

وكلّ معرفة حول الإسلام بدون الرجوع إلى هذه المصادر الأصليّة لا يمكن أن تكون مبيّنة لرؤية الإسلام الجامعة. بالطّبع، مع الالتفات إلى أنّ القرآن الكريم هو باللغة العربيّة، فإنّ الاستفادة من الترجمات المناسبة والصحيحة هي أمرٌ بديهيّ، خصوصًا مع الالتفات إلى وجود ترجمات غير مناسبة في هذا المجال.

قد يبرز سؤالٌ في هذا المجال وهو أنّ الرجوع إلى القرآن والأحاديث بدون تحصيل العلوم المقدّماتيّة للوصول إلى معرفة جامعة وكاملة عن الدين، وخصوصًا مع وجود المتشابه والمحكم والعامّ والخاصّ والمطلق والمقيّد وغيرها، هو عملٌ خاطئ، وسوف يوقع المرء بالحيرة والضياع، بالإضافة إلى أنّه لن يعطيه معرفة شاملة وكاملة، فسوف يوقعه بالتناقض والتضادّ فيما إذا أعمل قراءته بنفسه.

وفي الجواب، ينبغي القول إنّ محكمات القرآن تفسير المتشابهات، والقرآن نفسه هو المفسّر الواقعيّ للقرآن، وكذلك أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. فإنّ في الرجوع إلى أحاديثهم إعانة تامّة على الفهم الصحيح للآيات؛ مضافًا أنّ عدد قليل من





الآيات التي يمكن وقوع بالاشتباه فيها، وظاهرها يبعث على عدم الفهم الصحيح لها. ﴿فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْويلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١].

فهذه المشكلة إن وُجدت فهي تنشأ من النظرة التجزيئيّة والضيّقة وحصر الفهم ببعض الآيات وعدم الاعتناء بالكلّ. في حين أنّ القرآن هو مجموعة كاملة، ولا يمكن أن يذكر المرء رأي القرآن أو الإسلام بشأن أيّ موضوع إلّا بعد الرجوع إلى جميع آيات القرآن مطلقها ومقيّدها، عامّها وخاصّها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، ظاهرها وباطنها.. وكذلك الرجوع إلى المعصومين في رواياتهم وأحاديثهم.

وكنموذج على ذلك، لا يمكن أن نأخذ آية ﴿فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾[٢]، دون أن نأخذ موضوع الآية ككلّ بعين الاعتبار، ودون التوجّه إلى الآية التالية وهي ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَبَناتُكُمْ وَأَخَواتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخالاتُكُمْ وَبَناتُ الْأَخِ وَبَناتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهاتُكُمُ اللاَّتي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ وَأُمَّهاتُ نِسائِكُمْ وَرَبائِبُكُمُ اللاَّتي في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللاَّتي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا رَحيمًا﴾[٣].

١| سورة **آل عمران**، الآية ٧.

٢| حليّة الزواج من النساء، سورة **النساء**، الآية ٣.

٣| تحريم الزواج من المحارم، سورة **النساء**، الآية ٢٣.





يجب الالتفات إلى أنّ القرآن الكريم نفسه يؤكّد على القراءة والتدبّر المباشر في جميع الآيات ويقول ﴿فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآن﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن﴾[2]، إنّها لمن معجزات القرآن الكريم حيث يمكن لكلّ إنسان، ورغم تفاوت الاستعدادات والقدرات الذهنيّة، الرجوع إليه مباشرةً بذهنٍ صافٍ، بعيدًا عن الأغراض الشخصيّة والأحكام المسبقة التي ينطلق منها ويفرضها على القرآن نفسه، فيستفيد كما ينبغي من هذا المصدر الإلهيّ للعلم والمعرفة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِر﴾[3].

إنّ القرآن هو كتاب الهداية، وقد نزل لعامّة الناس، وسوف يستفيد جميع الناس منه بحسب أوعيتهم، إنّ الآيات القرآنيّة مليئة بالمفاهيم التي تجذب قلب كلّ شابّ طالب للحقيقة.

لعبت الدعايات المغرضة في الغرب دورًا بـارزًا في ظهور التصوّرات المغلوطة عن الإسلام، وساعدها على ذلك التحجّر الموجود عند بعض المسلمين. وفي الوقت نفسه، يمكن القول إنّ علماء المسلمين أنفسهم قصّروا في حثّ شباب الغرب الطالبين للحقيقة، والذين ليسوا بقلّة أبدًا، على التعرّف على القرآن ومطالعته وعلى مطالعة مصادر الدرجة الأولى في الإسلام.

لو رجع الشابّ الطالب للحقيقة في الغرب إلى القرآن الكريم،

١| سورة **المزمّل**، الآية ٢٠.

٢| سورة **النساء**، الآية ٨٢

٣| سورة **القمر**، الآيات ١٧ و٣٢.





فسوف يرى كيف يتعامل هذا الكتاب السماويّ مع حريّة التفكّر وفكر الآخر، كما قال عز وجلّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾[١]؛ وسوف يجد أنّ معنى الجهاد في الإسلام هو مواجهة أولئك الذين يريدون القضاء على مجال هذا النوع من الحريّة، ولا يريدون أن تصل كلمة الإسلام العليا إلى الجميع ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٢]. كيف لا يكون الشابّ الغربيّ الباحث عن الحقيقة مجذوبًا لكلام الله فيما إذا قرأ القرآن الكريم ﴿ولا يَجْرِ مَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٣]؟ وكيف لا تقبل فطرته نداء القرآن العزيز حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٤]؟ وكيف يمكن له أن يعتبر الإسلام دين العنف فيهرب منه وهو يسمع هذه الآية الشريفة ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٥]؟ وكيف يمكن أن يعتبر الإسلام دينًا مخالفًا للعقل والمنطق في حين أنّ عشرات الآيات القرآنيّة تدعو إلى التعقّل والتفكّر واكتساب العلم والبصيرة وتلوم الناس الذين لا يستعملون عقولهم: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٦]،

١| سورة **التوبة**، الآية ٩.
٢| سورة **الأنفال**، الآية ٣٩.
٣| سورة **المائدة**، الآية ٨.
٤| سورة **آل عمران**، الآية ٦٤.
٥| سورة **الأنعام**، الآية ١٠٨.
٦| سورة **المجادلة**، الآية ١١.



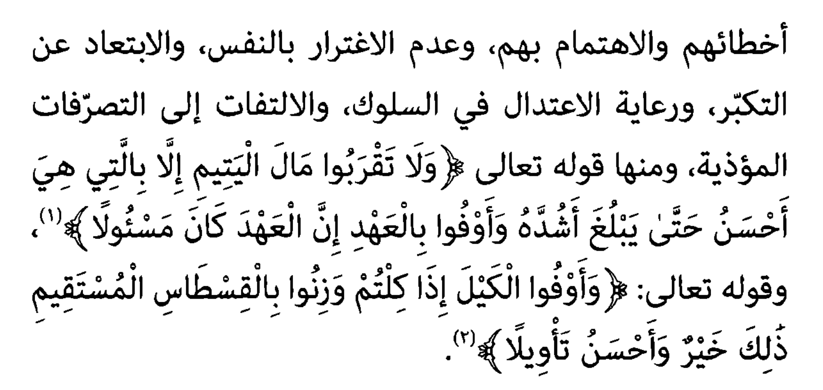


﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[١]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[٢]؟ أنّى للشابّ الغربيّ الذي يعيش طهارة الطينة أن يبتعد عن الإسلام ويجد المعنويّات في دينٍ آخر غير الإسلام وهو يطالع هذه الآيات المفعمة بالأمل وعشرات الآيات التي تشبهها؟! كما في قول الله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣]، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنّه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٤]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٥] ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٦]؟ فكيف يمكن أن لا تستقرّ هذه النداءات الأخلاقيّة وعشرات النداءات المشابهة في أعماق وجوده وهو يقرأ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾[٧] ﴿وعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٨] ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ** * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[٩] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٠]؟

إنّها الآيات القرآنيّة تدعو إلى الإحسان للبشر، والتجاوز عن

١| سورة **البقرة**، الآية ٤٤.
٢| سورة **محمّد**، الآية ٢٤.
٣| سورة **الرعد**، الآية ٢٨.
٤| سورة **الزمر**، الآية ٥٣.
٥| سورة **البقرة**، الآين ١٨٦.
٦| سورة **يوسف**، الآية ٨٧.
٧| سورة **العنكبوت**، الآية ٨.
٨| سورة **النساء**، الأية ١٩.
٩| سورة **الضحى**، الآيات ٩ و١٠.
١٠| سورة **لقمان**، الآية ١٨.





أخطائهم والاهتمام بهم، وعدم الاغترار بالنفس، والابتعاد عن التكبّر، ورعاية الاعتدال في السلوك، والالتفات إلى التصرّفات المؤذية، ومنها قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2].

إنّ كلّ واحدة من الآيات السياسيّة والآيات الأخلاقيّة والآيات الاجتماعيّة والتشريعية في كتاب الله، تجذب كلّ طالبٍ للحقيقة وتهديه ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3]. إنّ حضرة آية الله العظمى الخامنئي يعيش هاجس فلاح ونجاة كلّ البشرية، وهو يدعو هذه الشعوب لسلوك طريق الخلاص بناءً على حديث النبيّ الأكرم (ص): "إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافع مشفّع وماحلٌ مصدّق"[4].

٢٤. سيرة النبيّ الأعظم (ص)

إنّ مطالعة حياة نبيّ الإسلام (ص) تعني مطالعة سلوكه مع أسرته وعامّة الناس والموالين والمعادين وحتّى كلّ الكائنات.

لقد أراد آية الله العظمى الخامنئي بالإشارة إلى حياة نبيّ

١| سورة **الإسراء**، الآية ٣٤.

٢| سورة **الإسراء**، الآية ٣٥.

٣| سورة **لقمان**، الآية ٥.

٤| **الكافي**، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٥٩٩.





الإسلام إلى جانب القرآن، أن يقدّم لشباب الغرب الأنموذج العمليّ والقدوة الحسنة المجسِّدة لتعاليم القرآن الكريم، وأراد أن يقول لهم إنّ تعاليم القرآن ليست مجرّد مفاهيم ذهنية وانتزاعيّة، بل لها قابليّة التحقّق والانطباق في حياة الانسان الفرديّة والاجتماعيّة والسياسيّة، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

٢٥. الإعلام الصهيونيّ ودوره في الخداع

يدّعي زعماء الغرب وسياسيّوه أنّ الإنسان الغربيّ ذو اطّلاع، لكن ألم تسلب عمليّات القصف الإعلاميّ والهجمات الدعائيّة المستمرّة قدرة التفكير في خلوة الوجدان من أذهان عامّة تلك الشعوب؟ وهل أنّ كلّ ما يُنشر عبر هذه الوسائل الإعلاميّة الرسميّة يمثّل الحقيقة؟ وهل هناك برامج في الأساس تُبثّ في الوسائل الإعلاميّة الغربيّة ذات صبغة فكريّة تراعي عمليّة التفكير، وخصوصًا في الفضائيّات التي تبثّ باللغة الفارسيّة؟ إذا نظرنا إلى هذه الفضائيّات خاصّةً، فإنّنا لا نجد فيها سوى تلك العمليّات التلقينيّة التي تستهدف مقاصد سياسيّة تتماشى مع الهيمنة الغربيّة. ألم يجعلوا تخريب الهويّة الإسلاميّة والثقافة الإيرانيّة هدفًا لهم في وسائلهم؟ هناك عشرات الأسئلة الأخرى يمكن لأيّ منصف أن يجيب عنها بسهولة، إذا ما طرحناها.

١| سورة **الأحزاب**، الآية ٢١.





٢٦. دور الإسلام في التطوّر والحضارة

لقد كان للعلماء الكبار دورٌ بارزٌ في النهضة العالميّة لإيران الإسلاميّة نذكر منهم: جابر بن حيّان، والخوارزمي، والفارابي، والرازي، والحكيم الفردوسيّ، وابن سينا، والشيخ الطوسيّ، وابن العربيّ، والخواجة نصير، ومولانا جلال الدين البلخي، والخواجة محمّد حافظ الشيرازي، وابن خلدون، والملّا صدرا، والشيخ البهائيّ العامليّ، والعلّامة المجلسيّ وغيرهم. وفي العصر الحديث: العلّامة الطباطبائي، والإمام الخمينيّ، والعلّامة محمّد تقي الجعفريّ، والبروفسور حسابي، ومرتضى مطهّري...

لقد ذُكر في الرسالة نوعان من الاستدلال النظريّ والعمليّ لأجل إثبات حقّانيّة الإسلام، وعدم انطباق التصوّرات المصطنعة والمختلقة من قبل الدول الغربيّة ووسائلها الإعلاميّة على الإسلام الواقعيّ.

كما تمثّل الاستدلال النظريّ لصاحب الرسالة الجليل بدعوة شباب الغرب إلى مطالعة آيات القرآن الكريم وحياة نبيّ الإسلام الأكرم (ص)، وذلك لإظهار حقيقة ما يجري في مجتمعاتهم من جهة اصطناع صور ومفاهيم مغلوطة حول الإسلام، وهي صور تنسجم مع الأهداف المشؤومة لزعمائهم.

أمّا الاستدلال العمليّ، فهو أنّه لو كان الإسلام قد بُني على أساس مثل تلك الثقافة المزعومة القائمة على العنف ومخالفة المنطق والتخلّف (وهو ما تشيعه حكومات الغرب وإعلامه)، لما أمكن له أن ينهض ببناء أعظم الحضارات العلميّة والفكريّة طيلة



خمسة قرون. ففي الواقع، إنّ هذه التجربة العينيّة والتاريخيّة النادرة والساطعة تظهر بشكلٍ تامّ أنّ الوقائع ترتبط بقيم الإسلام ومبانيه التي تحمل مضامين الرفعة والسموّ والإنسانيّة. فلولاها لما أمكن بناء مثل تلك الحضارة المميّزة.

كما يصرّح حضرة آية الله العظمى الخامنئي في رسالته بأنّ القيم المدرجة في متن المعارف والتعاليم الإسلاميّة بعثت المسلمين على طلب العلم والمعرفة، الأمر الذي استطاعوا من خلاله إشادة حضارتهم الإسلاميّة على أسس الاقتدار الفكريّ والعلميّ.

لهذا، ينبغي أن نعتبر أنّ أساس ومنبع الحضارة الإسلاميّة هما: ترغيب القرآن الكريم وحثّ نبيّ الإسلام الأكرم (ص) على تحصيل العلم وطلب المعرفة. فقد جاء في آية أخرى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[١]. وجاء في آية أخرى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٢].

وعن النبيّ الأكرم (ص): «أكثر الناس قيمة أكثرهم علمًا وأقلّ الناس قيمة أقلّهم علمًا»[٣].

والحديث المشهور المرويّ عن النبيّ الأكرم (ص) أيضًا: «اطلبوا

١| سورة **الزمر**، الآية ٩.

٢| سورة **المجادلة**، الآية ١١.

٣| الشيخ الصدّوق، **من لا يحضره الفقيه** (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة في قمّ المقدّسة، الطبعة ٢، ١٤٠٤هـ) الجزء ٤، الصفحة ٣٩٥.





العلم ولو بالصين، فإنّ العلم فريضة على كلّ مسلم»[١].

لقد شاع بين المسلمين في القرن التاسع وحتّى القرن الثالث عشر الميلاديّ أنّ معيار الحكم بشأن أيّ فرد ومنزلته هو بمقدار ما يملكه من كتب. ففي تلك العصور، انتشرت الكتب العامّة والخاصّة كالطفيليّات. لم تكن مدينة أو بلدة تخلو من مكتبة، وبعضها حوى العديد من المكتبات. وصار الناس يتردّدون على هذه المكتبات للمطالعة والتحقيق واستعارة كتاب. وقد جمع الخواجة نصير الدين الطوسيّ في مكتبة مرصد مراغه أكثر من أربعة آلاف كتاب . ووصل عدد الكتب في بعض المكتبات إلى ألف ألف كتاب، أو ستمئة ألف. وذُكر أنّ عدد كتب مكتبة بيت الحكمة في بغداد وصل إلى أربعة آلاف كتاب.

كما أنّ العديد من العلماء الكبار ظهروا في مناطق مختلفة من العالم الإسلاميّ في ظلّ هذه الحضارة، وقادوا مسيرة العلم، ومنهم:

في الرياضيات: ثابت بن قرّة، ومحمّد بن إبراهيم الخزاري، وأبو كامل، ومحمّد بن موسى الخوارزمي، والبتاني، وأبو بكر محمّد بن حاسب الكرجي، وأبو الوفاء البوزجاني، وأبو علي سينا، وأبو الريحان البيروني، وعمر بن الخيّام النيشابوري، وأبو الحسن علي بن النسويّ، والخواجة نصير الدين الطوسيّ، وغياث الدين جمشيد الكاشاني، والشيخ بهاء الدين العامليّ.

وفي علم الفلك: ثابت بن قرّة، البتّاني بن الهيثم، عبد الرحمن

١ | **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ٢٠٧٠.



الصوفيّ، الخواجة نصير الدين الطوسيّ، عمر بن إبراهيم الفيّاص، محمّد بن موسى الخوارزمي، الكندي، أبو الريحان البيروني.

وفي الفيزياء والميكانيك: أبو محمّد الكرجيّ، أبو الريحان البيروني، يعقوب بن إسحاق الكنديّ، موسى بن شاكر، ثابت بن قرّة، أبو الفتح عبد الرحمن منصور الخازنيّ، أبو حامد محمّد بن الغزالي.

وفي الكيمياء: جابر بن حيّان، زكريّا الرازي، أبو ريحان البيروني، محمّد بن أصل التميميّ، ابن إميل، صالح الخوارزمي، الطغرائي.

وفي علم النبات وعلم البيئة: رشيد الدين الصوريّ، الإدريسيّ، ابن الأوان الإشبيلي، أبو محمّد عبد الله أحمد بن بياطر المالكي، أبو حنيفة أحمد بن داوود الدستوريّ، محمّد بن محمود بن أحمد الطوسيّ.

وفي الطبّ: جابر بن حيّان، عليّ بن الرين الطبريّ، أبو بكر محمّد بن زكريّا الرازيّ، علي بن عبّاس الماجوسيّ، أبو القاسم الزهراويّ، الرئيس الشيخ أبو علي سينا، ابن زهر، ابن نفيس، زين الدين إسماعيل حسين الجرجاني، قطب الدين الشيرازيّ، أبو حامد محمّد السمرقندي.

في الجغرافيا: هشام بن محمّد الكليّ، اليعقوبيّ، أبو القاسم محمّد بن حوقل، أبو الحسن المسعوديّ، الزهريّ الغرنمالي، ابن جُبير، أبو عبد الله الإدريسيّ، أبو عبد الله يقوت الحمويّ، أبو الفداء الشاميّ.





وفي التاريخ: ابن الأثير، الطبريّ، المسعوديّ، ابن الواضح اليعقوبيّ، ابن عساكر، البلاذري، عبد الرحمن بن خلدون.

وفي الاقتصاد: صفوان الجمال، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، أبو عبيد القاسم بن سلام، ابن يحيا الدمشقي.

وقد طرح المؤرّخ الإنكليزي المشهور مونتغومري واط هذا السؤال بشأن الإنجازات العلميّة للمسلمين قائلًا: إلى أيّ حد كان المسلمون مجرّد نقَلة ومترجمين لعلوم اليونان، وإلى أيّ حدّ كانوا مساهمين في نشوء أو تطوّر العلوم الأساسيّة؟ وفي الجواب، كتب قائلًا بأنّ الكثير من الباحثين الأوروبيّين قد تعاملوا بإغراض مع هذا الموضوع، حتّى أنّ بعض الباحثين الأوروبيّين الذين امتدحوا المسلمين لم يجتنبوا التعصّب وعدم الانحياز في إظهار آرائهم التاريخيّة[١]. كتبت زيغريد هونكه قائلةً: رغم أنّ العالم الإسلاميّ كان متقدّمًا على أوروبّا لقرون، لكنّ معرفة واطّلاع الأوروبيّين في هذا المجال هي أقلّ من معرفتهم بشأن الحضارات الأخرى، وهي معرفة مليئة بالأخطاء. فهذه المعرفة معلولة لذلك النوع من التأريخ الغربيّ الذي اعتاد على تصغير إنجازات الحضارة الإسلاميّة الكبرى، وغضّ النظر عن بيان الحقائق التاريخيّة للمسلمين. وتضيف هونكه بأنّ المؤرّخين الجدد قد استمرّوا على هذا النهج.

وطيلة القرون الوسطى، لا أحد يذكر أنّ أقرب جيران أوروبا، أي

١| مونتغمري واط، **تأثير الإسلام على أوروبا القرون الوسطى**، ترجمة حسين عبد المحمّدي (قم: مؤسسة آموزشي وپژوهشي امام خميني، ١٣٨٩هـ.ش)، الصفحة ٦٣.



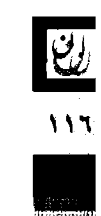
المسلمين، كانوا أصحاب حضارة لمدّة ثمانية قرون من عمر البشريّة. وقد كان ازدهار الحضارة الإسلاميّة ضِعف الحضارة اليونانيّة. فالمسلمون هم الذين أثّروا بصورة مباشرة وشاملة على العالم الغربيّ، أكثر من اليونان، ولكن من الذي كان مستعدًّا للإقرار بهذه الحقيقة؟!

ما ذكره المؤرّخون الأوروبيّون بشأن دور القرون الثمانية للحضارة الإسلاميّة هو أنّ المسلمين كانوا واسطة في وصول نفائس الحضارة اليونانيّة إلى أوروبّا، إلّا أنّ ما يُراد من هذا الكلام هو الانتقاص من دور المسلمين.

لقد أرادت أوروبّا من هذا الانتقاص أن تغضّ النظر عن وجود حضارة إسلاميّة مستقلّة. فلقد قام المسلمون بتطوير وتنمية تلك الذخائر العلميّة لليونان من خلال الدراسات التجريبيّة والعينيّة وتقدّموا بها كثيرًا، ووصلوا في العديد من المجالات إلى الابتكار والإبداع.

لم يكتفِ المسلمون بإنقاذ الميراث اليونانيّ من الضياع والانقراض، بل أعادوا تنظيمه وقدّموه إلى أوروبّا مجدّدًا. ثم أسّسوا لعلوم جديدة في مجال الكيمياء التجريبيّة والفيزياء والجبر والحساب وعلم الأرض وعلم الاجتماع.

وقد قام العلماء المسلمون في الحضارة الإسلاميّة بتقديم اكتشافات نفيسة لا تُحصى في جميع العلوم التجريبيّة إلى الغرب، لكنّ الأوروبيّين نسبوا أكثر تلك الاكتشافات إلى أنفسهم كذبًا. فبعد ترجمة العلوم الأجنبيّة إلى العربيّة، قام المسلمون



بالأبحاث والدراسات التي شملت في البداية الشرح والتطبيق والتلخيص، لكنّهم ـ وبالتدريج ـ انتقلوا من مرحلة الترجمة، وتحوّلوا إلى الإبداع؛ فأصبح لديهم أبحاث ودراسات مستقلّة، وهذّبوا وشذّبوا الكثير من دراسات وآراء من سبقهم. ويؤكّد سارتن على أنّ ما قدّمه المسلمون والحضارة الإسلاميّة للعلم لم ينحصر في إطار ترجمة النصوص العلميّة اليونانيّة، وإنّما كان أكثر من ذلك بكثير. فلم يكن العلماء المسلمون مجرّد وسيط لنقل العلوم القديمة، بل كانوا مبتكرين.

ويضيف بأنّنا نستطيع الاعتراف بأنّ هناك حضارة علميّة جديدة عالميّة وسامية تشكّلت خلال قرنين من الزمن، لكنّنا قاصرون عن أداء حقّ هذه الحضارة.

وقد كتب مونتغمري واط: نحن الأوروبيّون نتنكّر، أحيانًا كثيرة، لسعة وأهميّة وتأثير الإسلام في ثقافتنا، ونسعى للتقليل من شأنه، لكن يجب أن نعترف أنّنا مدينون للثقافة الإسلاميّة من الناحية الثقافيّة. ويعتقد واط بأنّ التصوير المغلوط والمحرَّف للإسلام قد سيطر على أوروبا القرون الوسطى ملبسًا إيّاه الأوصاف التالية:

- الإسلام يحرّف الحقائق.
- الإسلام يؤيّد العنف واستعمال السيف.
- المسلمون متشدّدون وإفراطيّون.
- نبيّ الإسلام يكره المسيحيّة.



عندما واجه الأوروبيّون التطوّر والازدهار المدهشين اللذين حقّقهما المسلمون، شعروا بالحقارة والدونيّة. وبالعموم، يمكن القول إنّ مشاعر الأوروبيّين الغربيّين تجاه الإسلام لا يمكن فصلها عن مشاعر أفراد الطبقة المحرومة في أيّ مجتمع. وقد كانت إشاعة تلك التصويرات المنحرفة عن الإسلام بين الأوروبيّين لأجل جبران تلك المشاعر. هذا في الوقت الذي كان الأوروبيّون يتمتّعون منذ القرن الحادي عشر الميلاديّ بعلوم المسلمين التي كانت في أوجّها، ويسعون للاستفادة منها. وفي القرن الثاني عشر الميلاديّ، قام الأوروبيّون بعمليّة ترجمة واسعة لكتابات المسلمين العلميّة. ويُقرّ واط بكلّ صراحة بأنّ تأثير الإسلام على المجتمع المسيحيّ هو أكبر ممّا يُعترف به. فالإسلام لم يكن شريك أوروبّا في النتاجات الماديّة والاختراعات التقنيّة فحسب، ولم يكن مجرّد باعث على النهضة العلميّة والفلسفيّة في تلك القارّة فقط، بل حتّم على أوروبّا أن تعيد تصوير وصياغة هويّتها بالكامل.

وحيث أضحت أوروبا معادية للإسلام، أصبحت في ردّة فعلها تعتبر المسلمين بلا تأثير، وأضحت في المقابل تبالغ في انتمائها إلى ميراث اليونان والروم؛ ويضيف أنّ مسؤوليّتنا المهمّة كأوروبيّين غربيّين هي أن نصحّح أخطاءنا السابقة، ونعترف بأنّنا مدينون بعمق للمسلمين وللحضارة الإسلاميّة.

إنّ جميع الآثار المهمّة للأطبّاء اليونان ليست بشيء مقارنةً بكتاب **القانون** في الطبّ لابن سينا، وقد بقيت الآثار العظيمة





التي تركها هذا الكتاب في الشرق والغرب لمئات السنين من تاريخ علم الطبّ بلا نظير لها. لقد كان ابن سينا أكبر أستاذ في الطبّ عند الأوروبيّين على مدى سبعمئة سنة، وفي ذاك الزمان لم يكن هناك من عالمٍ في جامعات أوروبّا لم يمدّ يده إلى علوم المسلمين الجديدة. فقد كان هذا حتميًّا على كلّ عالم يريد أن يجبر نقائصه العلميّة ويكون ذا شأنٍ من الناحية العلميّة. ولم يكن في أوروبّا كتاب واحد لا يرجع في أصوله إلى الحضارة الإسلاميّة أو إلى كتابات المسلمين.

وقد كتب برتراند راسل: في جميع العصور التي عمّها الظلام والجهل، كان المسلمون هم الوحيدون الذين تقدّموا بالحضارة، وكلّ معرفة الأوروبيّين العلميّة في أواخر القرون الوسطى إنّما اقتُبست من المسلمين[١]. وفي أوروبّا حتّى القرن الخامس عشر، لم يكن أيّ حديثٍ علميّ يكتسب الاعتبار، إلّا إذا كان مأخوذًا عن المسلمين. فأهمّ مفكّري أوروبّا لهذه الحقبة كانوا ناقلين أو تلامذة لعلماء مسلمين. وفي الفلسفة، كانت أفكارهم تعود في جذورها إلى ابن رشد وابن سينا. وكان مدار العلم في جامعات أوروبّا على مدى ستّة قرون، يدور حول محور كتابات المسلمين[٢].

١| ترتراند راسل، **جهان بينى علمى**، ترجمة حسن منصور، الصفحة ٢٤.

٢| لوبون، گوستاو، **تمدّن اسلام وعرب**، ترجمة محمّد تقي فخر داعي گيلاني (تهران: دنياى كتاب، ١٣٨٢ هـ-ش)، الصفحة ٧٣٥.





٢٧. التصاوير السخيفة والمسيئة للإسلام

لقد شكّلت التيّارات الأكاديميّة التي استهدفت دراسة الشرق والاستشراق في الجامعات وفي مراكز الدراسات الغربيّة، أرضيّة مهمّة لتشكيل مفاهيم محرّفة وبعيدة عن الحقائق والوقائع التي ترتبط بالشؤون الإسلاميّة وشؤون هذه الشعوب الشرقيّة. وقد أدّت أدوارًا مغرضةً عبر التاريخ. لقد قام بعض المستشرقين في القرون الماضية بتقديم تفسيراتٍ للإسلام وللعديد من المفاهيم الإسلامية شكّلت، وللأسف الشديد، ثقافة غربيّة معادية للإسلام، ومثل هذه الكتابات موجودة ويمكن لأيّ إنسان أن يراجع آثار المستشرقين وكتاباتهم[١].

من النماذج البارزة لمثل هذه التصاوير السخيفة ضدّ المسلمين، والتي قامت بها الوسائل الإعلاميّة الصهيونيّة في السنوات الأخيرة، هي تقديم الإسلام والتشيّع من خلال تلك الصور التي تُلتقط في مراسم عاشوراء لضرب الرؤوس. هذا في حين أنّ مثل هذه الأمور هي ممّا ينبذه مراجع الإسلام وعلماء الدين، الذين هم من الطراز الأوّل أو في المرتبة الأولى، ومنهم حضرة آية الله العظمى الخامنئي. إنّ التصوير المجرم والخاطئ ضدّ نبيّ الإسلام، وحتّى زوجاته، يمثّل كذلك نموذجًا للتصاوير الموهنة والسخيفة. ولا نستبعد ما تقوم به هوليوود على مستوى التصوير الخاطئ للإسلام من أجل مواجهة الإسلام ونشر الخوف منه. يُصوَّر المسلمون في بعض الأفلام السينمائيّة كإرهابيّين؛

١ | راجع: ادوارد سعيد، **شرق شناسی**، ترجمة عبد الكريم گوهي (تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ١٣٨٩ هـ.ش).





ويتمّ تحاشي تصوير أو إظهار السواد الأعظم من المسلمين المسالمين والمعتدلين والمحبّين للسلام، حتّى لا يترك في ذهن المشاهد الغربيّ تصوّرًا عن الإسلام سوى ذلك البُعد القبيح أو الإرهابيّ. وعندما نطالع الكتب التعليميّة في بعض الدول الأوروبيّة نجد الكثير من التحريفات حول الإسلام، وتصوير هذا الدين على أنّه دين يظلم المرأة ولا يعطي الإنسان حقّه وأنّه عدوّ للإنسانيّة.

٢٨. جسر من الأفكار والإنصاف فوق الانقسامات

خلافًا لبعض الآراء اليائسة، التي تنطلق نظرتها من البنية الثقافيّة والإعلاميّة الحاكمة على الغرب، والتي تقول إنّ أيّ نوع من السعي الفرديّ لتبيين الحقائق سوف يفشل؛ فإنّ كاتب هذه الرسالة للشباب الغربيّين يبدو أنّه يؤمن بأنّ هذه المساعي الفرديّة يمكن أن تكون مفيدة ومؤثّرة على ضوء التعاليم القرآنيّة الصحيحة. فإنّ كلّ فرد يتحمّل مسؤوليّة اكتشاف الحقيقة وتبيانها للآخرين بصورةٍ مستقلّة عن التيّار الكلّيّ الحاكم على المجتمع. وعلى كلّ إنسان أن يتحرّك باختياره وإرادته دون أيّ خوف أو تردّد، وأنّ الله تعالى سوف يدعمه ويدافع عنه، لا سيّما إذا كان بعض المخاطَبين في هذه الرسالة من الشباب المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الغربيّة، ولكنّهم ابتلوا بالانفعال والانزواء ونسوا رسالتهم الحقيقية. فعلى هذه الشريحة من المخاطَبين أن تعلم من قوله تعالى: ﴿الذين يُبَلِّغُون رِسَالاتِ الله ويخْشَونَه ولا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إلّا الله وكَفَى





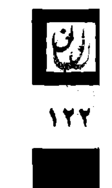
بالله حَسِيبًا﴾[١]، أنّها إذا ما عملت بوظيفتها في محلّ عملها ودراستها ومعيشتها وأظهرت حقائق الإسلام للآخرين فسوف يتشكّل تيّار فعّال مقابل تيار رهاب الإسلام.

إنّ السعي لإحقاق الحقّ وبيان الحقيقة هو رسالة الجميع وينبغي أن نقوم به جماعة وفرادى ﴿قُلْ إِنِّي أَعِظُكُم بواحِدة أَنْ تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرادَى﴾[٢]، لهذا فإنّ المساعي الفرديّة للشباب الغربيّين من أجل الاستيضاح والحثّ على الإنصاف والأفكار ممكن أن يكون مؤثّرًا بدوره. ولا شكّ بأنّ الهوّة بين الثقافة الحاكمة على الغرب والثقافة الإسلاميّة وقيمها هي هوّة عميقة، لكنّنا في الوقت نفسه لا يمكن أن نغفل عن أهميّة المساعي الفرديّة والجمعيّة لأجل إصلاح نظرة المجتمع الغربيّ للإسلام ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه﴾[٣].

٢٩. دور التساؤل وأهميّته

إنّ الهدف الأساس لهذه الرسالة هو طرح الأسئلة والترغيب بالتفكّر والتحقيق بشأن الإسـلام بين المخاطَبين، لقد قام الإمام الخمينيّ رحمه الله في رسالته المشهورة لزعيم الاتّحاد السوفياتيّ السابق ميخائيل غورباتشوف بدعوته إلى التحقيق والتعقّل وقال له: "إذا كان الجناب العالي يرغب في أن يحقّق في هذه المجالات... فإنّني أرجو منكم أن تقوموا بالتفحّص

١| سورة **الأحزاب**، الآية ٣٩.
٢| سورة **سبأ**، الآية ٤٦.
٣| سورة **الزلزلة**، الآية ٧.



والتحقيق الجدّيّ بشأن الإسلام". ومثل هذا الهدف المشترك والواحد إنّما هو ناشئ من التعاليم الإسلاميّة التي تدعو العلماء الملتزمين إلى إحياء وبثّ روحيّة التفكّر والبحث عن الحقيقة وإرجاع المخاطَبين إلى وجدانهم، وتحثّهم على الجهاد العلميّ والتبليغيّ على أساس الرسالة البيّنة والعالمة.

٣٠. مستقبل تعامل الغرب مع الإسلام

لقد دعت الرسالة في خاتمتها إلى ضرورة النظر إلى مستقبل علاقة الغرب والإسلام. وبناءً على ما بنته هذه الرسالة الحكيمة والتاريخيّة، يبدو أنّ مستقبل التعامل المطلوب والممكن بين الغرب والإسلام قد يختلف عمّا هو موجودٌ الآن. إنّ الأمل بإصلاح المسار الموجود في تعامل الغرب مع الإسلام هو أملٌ بالوجدان اليقظ والفطرة الصافية، وهو أملٌ بالمساعي العلميّة والكشف التدريجيّ عن حقيقة الإسلام بالنسبة للشباب الغربيّين ومثل هذا الأمل المستقبليّ إنّما ينبع من الأمل بالمباني والمبادئ الإسلاميّة.

يُمكن أن نأمل بأنّ المستقبل سيكون حافلًا بالمعرفة الصحيحة والجامعة والموثّقة حول الإسلام بين شعوب الغرب، لا سيّما بين الشرائح المتعلّمة والشبابيّة، وإنّ تلك التصويرات المغرضة والمنحرفة والمعتدية حول الإسلام في الغرب ستضمحلّ أو تخبو؛ هذا ما نستنبطه من القرآن الكريم وسيرة نبيّ الإسلام.

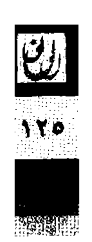
يمكن أن نأمل بغلبة النظرة الإيجابيّة تجاه الإسلام والمسلمين






وشيوع الأجواء التقريبيّة داخل الغرب، ومن المؤمّل أن تنتشر الأفكار والتصوّرات الإسلاميّة الأصيلة عند إصلاح الثقافة الغربيّة الرائجة في تلك المجتمعات. يمكن أن نأمل أن ينهض الشباب الغربيّون ضدّ الأنظمة المهيمنة والظالمة والعنصريّة والتي تستخدم كلّ أشكال الحيل والإغـواء ويكون ذلك أيضًا على أرضيّة النهضة العالميّة لتحقيق العدالة الشاملة... كلّ هذه الأمور ممكنة بالبصيرة والجهاد الذي سيمارسه الشباب الواعون المسؤولون. وعلى هذا الأساس، سيتحقّق الوعد الإلهيّ القطعيّ القائم على انتصار الحقّ على الباطل، ﴿وَقُلْ جَاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كانَ زَهُوقًا﴾[1].

١ | سورة **الإسراء**، الآية ٨١.



لائحة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- خطب الإمام علي (ع)، **نهج البلاغة**، شرح الشيخ محمّد عبده (قم: دار الذخائر، الطبعة١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠هـش).

٣- آراسته خو، محمّد (١٣٧٩)، **وامداری غرب نسبت به شرق بويژه اسلام واريان** (تهران: مركز نشر آثار پژوهشگاه فرهنگ وانديشه اسلامى).

٤- آوينى، مرتضى (١٣٩٠)، **آغازى بر يك پايان** (انقلاب اسلامى و پايان انتظار) (تهران: نشر واحه).

٥- آوينى، مرتضى (١٣٩٢)، **توسعه ومبانى تمدّن غرب** (پيشرفت اقتصادى يا تكامل فرهنگى (تهران: نشر واحه).

٦- الخشن، حسين احمد (١٣٩١)، **اسلام وخشونت**، ترجمة موسى دانش (مشهد: آستان قدس رضوى).

٧- امينى، على رضا (١٣٩١)، **بررسى فرصت ها وچالش هاى ايجاد وحدت در سايه بيدارى اسلامى** (تهران: نهضت نرم افزارى وابسته به انتشارات انقلاب اسلامى).

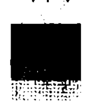
٨- بنايى بابازاده، امين (١٣٩١)، **بيدارى اسلامى وتأثير آن بر معادلات منطقه اى و بين المللي** (تهران: نهضت نرم افزارى وابسته به انتشارات انقلاب اسلامى).

٩- بهشتى، محمّد (١٣٩٠)، **شناخت اسلام** (تهران: بينياد نشر آثار وانديشه هاى شهيد آيت الله دكتر بهشتى).

١٠- بورلو، ژوزف (١٣٨٦)، **تمدّن اسلامى**، ترجمة اسد الله علوى (مشهد: آستان قدس رضوى).

١١- پتراس، جيمز (١٣٨٧)، **قدرت اسراييل در آمريكا**، ترجمة حميد نيكو





(تهران: مؤسّسه مطالعات اندیشه سازان نور).

١٢- پرتو، امین (١٣٩١)، **موانع تحقّق اندیشه بیداری اسلامی از دیدگاه امام خمینی (ره)** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

١٣- پیلگر، جان (١٣٨٦)، **دروغ های ساختگی: تحریف جنگ عراق در رسانه ها**، ترجمة رسول روناسی (تهران: روایت فتح).

١٤- تیری، میسان (١٣٨٢)، **١١ سپتامبر- دروغ بزرگ**، ترجمة فریدون نوبهار (تهران: نوبهار)

١٥- جعفری، محمّد تقي (١٣٩٠)، **فرهنگ پیرو فرهنگ پیشرو** (تهران: مؤسسة تدوین ونشر آثار علامه جعفری).

١٦- جعفری، محمّد تقي (١٣٨٧)، **علم ودین در حیات معقول** (تهران: مؤسسة تدوین ونشر آثار علامه جعفری).

١٧- جوادی آملی، عبد الله (١٣٩٢)، **اسلام ومحیط زیست** (قم: مرکز نشر اسراء).

١٨- جوادی آملی، عبد الله (١٣٨٧)، **آوای توحید** (نامه امام خمینی (ره) به گورباچف و شرح نامه) (تهران: مؤسسة تنظیم ونشر آثار امام خميني (ره)).

١٩- حاجی یوسف پور، محمود (١٣٩١)، **روند اسلام گرایی در ساختار سیاسی کشورهای خاورمیانه** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٢٠- حیدری، عباس علی (١٣٩١)، **تأملی بر نهضت بیداری اسلامی** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٢١- خامنئي، سيّد علي (١٣٩١) **یازده گفتار پیرامون بیداری اسلامی** (تهران: انقلاب اسلامی).

٢٢- دوانی، علي (١٣٨٧)، **سیمای جوانان در قرآن وتاریخ اسلام** (تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی).





٢٣- ذو علم، علي (١٣٩٢)، **فرهنـگ معيار از منظر قرآن كريم** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشـگـاه فرهنـگ وانديشه اسلامى).

٢٤- راسل، برتراند (١٣٧٨)، **جهان بينى علمى**، ترجمة حسن منصور (تهران: آگـاه).

٢٥- ربيعي، سكينه (١٣٨٦)، نـگـاهى به ويـژگــى هاى جوانى، مجلّة **طوبى**، ارديبهشت ١٣٨٦، شماره **١٧**.

٢٦- رسوايى واترگـيت، تجلّى حاكميّيت افكار ماكياوليستى در ميان سياستمداران آمريكا، مجلة **برخط**، باشـگـاه انديشه.

٢٧- رضايى ، احمد (١٣٩١)، **آينده نـگـرى بيدارى اسلامى** (تهران: نهضت نرم افزارى وابسته به انتشارات انقلاب اسلامى).

٢٨- زابلى زاده، اردشير (١٣٩٣)، **جـنـگ روايت ها** (در گــفتمان رسانه هاى رقيب) (تهران: مركز تحقيقات صدا وسيماى ج ١,١٠).

٢٩- زارعى نـژاد، غلام حسين (١٣٨٧)، استعمار فرانو، مجلة **معارف**، شماره ٦٠.

٣٠- زرين كوب، عبد الحسين (١٣٩١)، **كارنامه ى اسلام** (تهران: امير كبير).

٣١- زيدان، جرجي (١٣٩٢)، **تاريخ تمدّن اسلام**، ترجمة علي جواهر كلام (تهران: امير كبير).

٣٢- زين، هاوارد (١٣٨٩)، **روياى آميركايى: روايتى ديـگر از تاريخ مردم آمريكا**، ترجمة فاطمة شفيعى سروستانى (تهران: هلال).

٣٣- سارتن، جرج (١٣٧٦)، **سرگـذشت علم**، ترجمة احمد بيرشك (تهران: شركت انتشارات علمى وفرهنـگـى).

٣٤- سعيد، ادوارد (١٣٨٩)، **شرق شناسى**، ترجمة عبد الرحيم گواهى (تهران: دفتر نشر فرهنـگ اسلامى).

٣٥- سعيد، ادوارد (١٣٧٩)، **اسلام رسانه ها** (تهران: توس).

٣٦- سعيد، ادوارد (١٣٧٧)، **پـوشش خبرى اسلام در غرب**، ترجمة عبد الرحيم گواهى (تهران: دفتر نشر فرهنـگ اسلامى).





۳۷- سماواتی، زهرا (۱۳۸۳)، **سلطه ی رسانه ای صهیونیسم در آمریکا** (تهران: عروج).

۳۸- شاکرین، حمید رضاك (۱۳۹۲)، **چرا دین؟ چرا اسلام؟ چرا تشیع؟** (تهران: دفتر نشر معارف).

۳۹- شفیعی، مصطفی (۱۳۹۱)، **آسیب شناسی بیداری اسلامی از نگاه امام خميني (ره)** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٤٠- شمس الدين، محمّد مهدي (۱۳۸۸)، **حدود مشارکت سیاسی زنان در اسلام** (تهران: بعثت).

٤١- شیخ نوری، محمّد امیر (۱۳۸۵)، **نقش غرب در پیدارش وگسترش اختلافات مرزی** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ واندیشه اسلامی).

٤٢- صادقی، علی رضا (۱۳۹۱)، **ارتباط فرهنگ دینی وخشونت زدایی در استراتژی بیداری اسلامی با تأکید بر اندیشه های حضرت آیت الله خامنه ای** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٤٣- صفاتاج، مجید (۱۳۸۷)، **سینمای سلطه** (تهران: سفیر اردهال)

٤٤- صفاتاج، مجید (۱۳۸۷)، **صهیونیسم ورسانه** (تهران: سفیر اردهال)

٤٥- صميمي، امیر (۱۳۹۱)، **بررسی نقش پیروزی انقلاب اسلامی در تحولات اخیر منطقه خاورمیانه با توجّه به دیدگاه حضرت امام خميني (ره)** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٤٦- طاهری، مهدي (۱۳۸۸)، **بازتاب انقلاب اسلامی بر شیعیان لبنان** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ واندیشه اسلامی).

٤٧- طبطبایی، محمّد حسین (۱۳۹۱)، **تعالیم اسلام** (قم: مؤسسة بوستان کتاب).

٤٨- طبطبایی، محمّد حسین (۱۳۸۹)، **بررسی های اسلامی** (قم: مؤسسة بوستان کتاب).



٤٩- طاهري بنجناری، میثم (۱۳۸۸)، **فرهنگ وتمدّن غرب از دیدگاه امام خميني (ره)** (تهران: مرکز اسناد انقلاب اسلامی).

٥٠- ماکیاولی، نیکولو (۱۳۹۳)، **شهریار**، ترجمة داریوش آشوری (تهران: آگاه، چاپ چهارم).

٥١- عاملی، شیخ حر (١٤١٣هـ ق)، **وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة** (قم: آل البیت).

٥٢- عباسی، حسن (۱۳۸۲)، **جنگ جهانی چهارم ورفتارشناسی أمریکا پس از حادثه ۱۱ سپتامبر** (قم: پارسایان).

٥٣- عزیزان، میثم (۱۳۹۱)، **روش الگوسازی والگوبرداری در بیداری اسلامی** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٥٤- عنان، محمّد عبد الله (۱۳۹۳)، **صحنه های تکان دهنده در تاریخ اسلام** (تهران: بعثت).

٥٥- عیوضی، محمّد رحیم (۱۳۸۸)، **شناخت ماهیت استعمار فرانو** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ واندیشه اسلامی).

٥٦- عیوضی، محمّد رحیم (۱۳۸۸)، **آسیب شناسی انقلاب اسلامی** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ واندیشه اسلامی).

٥٧- فراموز، مرتضی (۱۳۹۱)، **غفلت غربی وبیداری اسلامی** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٥٨- فرج نژاد، حسن (۱۳۸۹)، **خط امام** (تهران: آرما).

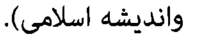
٥٩- فرج نژاد، محمّد حسین (۱۳۸۷)، **اسطوره های صهیونیستی سینما** (تهران: هلال).

٦٠- قدردان قراملكي، محمّد حسن (۱۳۹۳)، **پاسخ به شبهات کلامی/ خداشناسی** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ واندیشه اسلامی).

٦١- قدردان قراملكي، محمّد حسن (۱۳۹۳)، **پاسخ به شبهات کلامی/ درباره ی پیامبر أعظم (ص)** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ







واندیشه اسلامی).

٦٢- قدردان قراملكي، محمّد حسن (١٣٩٣)، **پاسخ به شبهات کلامی/ معاد** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشـگـاه فرهنـگ واندیشه اسلامی).

٦٣- قـدردان قراملكي، محمّد حسن (١٣٩٣)، **پاسخ به شبهات کلامی/ دین ونبوت** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشـگـاه فرهنـگ واندیشه اسلامی).

٦٤- قدردان قراملكي، محمّد حسن (١٣٩٣)، **پاسخ به شبهات کلامی/ امامت** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشـگـاه فرهنـگ واندیشه اسلامی).

٦٥- قدردان قراملكي، محمّد حسن (١٣٩٣)، **پاسخ به شبهات کلامی/ عدل الهي** (تهران: سازمان انتشارات پژوهشـگـاه فرهنـگ واندیشه اسلامی).

٦٦- قدر ولايت، مؤسسة فرهنـگـی هنری (١٣٩٠)، **آيات شيطانی** (تهران: مؤسسة فرهنـگـی هنری قدر ولايت).

٦٧- قراءتی، محسن (١٣٩٣)، **سبك زندگـی اسلامی بر اساس تفسير نور** (تهران: مركز فرهنـگـی درسهایی از قرآن)

٦٨- قطب، سيّد (١٣٩١)، **اسلام وصلح جهانی** (تهران: دفتر نشر فرهنـگ اسلامی).

٦٩- قمي، محمّد تقي (١٣٨٩)، **سرگذشت تقريب يك فرهنـگ، يك امت** (تهران: مجمع جهانی تقريب مذاهب اسلامی).

٧٠- كنفرانس تبيين انديشه حضرت امام خميني (ره) (١٣٨٨)، **تمدّن اسلامی در انديشه سياسی حضرت امام خميني (ره)** (تهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار امام خميني (ره)).

٧١- گـابلر، نيل (١٣٩١)، **امبراتوری هاليوود: مروری بر زندگـی خالقان يهودی سينما**، ترجمة الهام شوشتری زاده (تهران: عابد).

٧٢- لوبون، گـوستاو (١٢٩١)، **تمدّن اسلام وعرب**، ترجمة محمّد تقي فخر داعي گـيلانی (تهران: دنيای كتاب).

٧٣- محمد طاهری، مهدی (١٣٩١)، **بيداری اسلامی وريشه های آن در كلام**





مقام معظم رهبری (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٧٤- محدثی، جواد (١٣٨٨)، **اعتدال** (مشهد: آستان قدس رضوی).

٧٥- محمّد ریشهري (١٣٩٠)، **علم وحکمت در قرآن وحدیث**، ترجمة عبد الهادي مسعودی (قم: دار الحدیث).

٧٦- مجیدي، محمّد رضا وصادقي، محمّد مهدي (١٣٩٣)، **اسلام هراسی غربی** (تهران: دانشـگـاه امام صادق (ع)).

٧٧- مرتضوی، سید فتاح (١٣٩٢)، **اشخاص وشاخص ها در قرآن کریم** (تهران: دفتر نشر معارف).

٧٨- مشکانی، امّ البنین (١٣٩١)، **بیداری اسلامی وتحولات اخیر شبه جزیرة عربستان** (تهران: نهضت نرم افـزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٧٩- مصباح یزدی، محمّد تقي (١٣٩٣)، **انقلاب اسلامی وریشه های آن** (قم: مؤسسة اموزشی پژوهشی امام خمیني (ره))

٨٠- مصباح یزدی، محمّد تقي (١٣٩٢)، **انقلاب اسلامی؛ جهشی در تحولات سیاسی تاریخ** (قم: مؤسسة اموزشی پژوهشی امام خمیني (ره))

٨١- مودودی، سید ابو الأعلی (١٣٩٣)، **اسلام در دنیای امروز ترجمة احمد فرزانه** (تهران: بعثت).

٨٢- موسوی، سید ایوب (١٣٩١)، **نقش انقلاب اسلامی ایران در بیداری اسلامی** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٨٣- منیری، حمید رضا (١٣٩١)، **انقلاب اسلامی واحیای کارکردهای دین در عرصه های جهانی وتأثیر آن بر بیداری اسلامی** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

٨٤- نجفی، محمّد سجّاد (١٣٩١)، **گـفتمان آیت الله خامنه ای شبکه های مجازی وتغییرات راهـگـشا در جریان بیداری اسلامی** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).



۸۵- وات، مونتگمری (۱۳۸۹)، **تأثیر اسلام بر اروبای قرون وسطی**، ترجمة حسین عبد المحمّدي (قم: مؤسسة اموزشی پژوهشی امام خميني (ره))

٨٦- هونکه، زیگرید (۱۳۷۰)، **فرهنگ اسلام در أوروبا**، ترجمة مرتضی رهبانی (تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی).

۸۷- یوسف، عبد التواب (۱۳۹۰)، **قصه های زندگی پیامبر (ص)** (تهران: مؤسسة بوستان کتاب).

۸۸- يوسفي، بتول (۱۳۹۱)، **پژوهشی پیرامون مبانی نظری بیداری اسلامی در قرن اخیر** (تهران: نهضت نرم افزاری وابسته به انتشارات انقلاب اسلامی).

89- Allen, James "Musarium: Without Sanctuary: Lynching Photography in America", Retrived November 6, 2006. Available at:http://withoutsanctuary.org/.

90- Lynchings: By State and Race, 1882- 1968, University of Missouri-Kansas City School of Law. Retrived July 26, 2010, Statistics provided by the Archives at Tuskegee Institute. Available at: http:// law2.umkc.edu/faculty/projects/ftrials/ship/lynchingsstate.html. And see: http://www.chesnuttarchive.org/classroom/lynchings_table_state.html.

91- South Carolina Code of Laws, Title 16 (Crimes and Offenses), Chapter 3 (Offenses Against the Person), ARTICLE 3. LYNCHING. Available at: http:// web.archive.org/web/20070626025747/ hptt:// www.scstatehouse.net/CODEt16c003.htm.

92- "The Fiery Cage and the Lynching Tree, Brutality s Never Far Away" at http://billmoyers.com/201505/02//isis-brutality-burning-lynching/ and "this is the charred body of Jesse Washington and whites from Waco-not ISIS-burned him alive" at http://www.rawstory.com/rs/201502//this-is-the-charred-body-of-jesse-washington-and-whites-from-waco-not-isis-burned-him-alive/and ect.

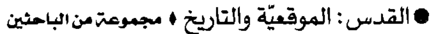


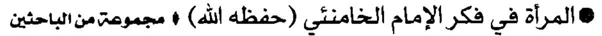
سلسلة أدبيّات النهوض



- العبادة والعبوديّة في الرؤية والسلوك عند الإمام الخميني ♦ حسن يحيى بدران
- عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة ♦ عليَ مهدي زيتون
- الشعائر الحسينيّة من المظلوميّة إلى النهوض ♦ شفيق جرادي
- على ضفاف الفرات ♦ إبراهيم أمين السيّد
- مجتمع المقاومة ♦ نعيم قاسم
- الشيخ عبد الحميد بن باديس ♦ إلياس جوادي
- الثورة الإسلاميّة في إيران: ظروف النشأة والقيم القياديّة ♦ منوشهر محمّدي
- الخطاب عند السيّد حسن نصر الله ♦ احمد ماجد
- الحداثة والمقاومة ♦ طه عبد الرحمن
- الإمام ونهج الاقتدار ♦ شفيق جرادي
- قيم النهوض: الحرّيّة العدالة الاستقلال الوطنيّ ♦ مرتضى مطهّري
- النهوض الحضاريّ في فكر الإمام موسى الصدر ♦ غسّان فوزي طه
- القدس في الوعي المقاوم ♦ بلال حسن التلّ
- مباني إنتاج الآخر في العقل الإسرائيليّ ♦ حسين سلامة
- الدولة والمقاومة في ظلّ الأوضاع الدوليّة الراهنة ♦ مجموعة من الباحثين
- المقاومة: جدليّة الحقّ والقوّة ♦ مجموعة من الباحثين
- الشورى ونظم الأمر ♦ عليَ يوسف
- الحرب على غزّة ♦ مجموعة من الباحثين
- المرجعيّة الدينيّة والمقاومة ♦ عبد الساتر الموسوي
- إشكاليّة الوعي والذاكرة العربيّة ♦ بيان نويهض الحوت
- الرؤية العلميّة لدى الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ عبد الله زيعور
- الفقه السياسيّ في فكر الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ مجموعة من الباحثين
- السيادة الشعبيّة الدينيّة ♦ مجموعة من الباحثين
- الحاكميّة: دراسة في المفهوم وتشكّله ♦ احمد ماجد
- صناعة الأمّة الإسلاميّة: الإمام الخامنئي (حفظه الله) وقيادة المشروع الإسلاميّ الاستنهاضي ♦ عبّاس نور الدين
- حقوق الإنسان من وجهة نظر الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ منوجهر محمّدي
- الفكر السياسيّ عند الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ مجموعة من الباحثين
- المسلمون بين المواطنة الدينيّة والمواطنة السياسيّة ♦ عليَ يوسف





- القدس: الموقعيّة والتاريخ ♦ **مجموعة من الباحثين**


- المرأة في فكر الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ **مجموعة من الباحثين**


- عاشوراء: الحدث والمعنى ♦ **محمّد مهدي الآصفي**


- السيادة الشعبيّة الدينيّة: إشكاليّة المفهوم ♦ **مجموعة من الباحثين**

- السيادة الشعبيّة الدينيّة: معالجات في التطبيق ♦ **مجموعة من الباحثين**
- الهواجس الثقافيّة عند الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ **إعداد مركز صهبا**
- أساس الحكم في الإسلام ♦ **محسن الأراكي**
- الإسلام وتهمة الإرهاب ♦ **علي يوسف**
- خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ♦ **محمّد باقر الصدر**
- وعي المقاومة وقيمها ♦ **شفيق جرادي**
- سنن القيادة الإلهيّة في التاريخ ♦ **محسن الأراكي**
- روح التوحيد (رفض عبوديّة غير الله) ♦ **الإمام الخامنئي**
- دور القرآن في بناء نهضة الأمّة ووحدتها ♦ **مجموعة من الباحثين**
- نهضة الذات ♦ **محمّد مهدي الآصفي**
- الإيمان ومستلزماته ♦ **الإمام الخامنئي**
- الإسلام في مواجهة التكفيريّة ♦ **شفيق جرادي**
- التوحيد وآثاره ♦ **الإمام الخامنئي**
- دراسات في الدولة والسلطة ♦ **محمّد طي**
- النبوّة وضروراتها ♦ **الإمام الخامنئي**
- أخلاقيّات العلم عند الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ **عبد الله زيعور**
- الولاية وأبعادها ♦ **الإمام الخامنئي**
- يوم الفداء: مقاربة اجتماعيّة ـ تاريخيّة لإحياء شعيرة عاشوراء في لبنان بين 1975-1860 ♦ **د. غسان طه**
- الصحوة الإسلامية ♦ **محسن الأراكي**
- الشاي الأخير ♦ **مريم ميرزاده**
- الأمن القومي الإسرائيلي بعد العام 2006 ♦ **بلال اللقيس**
- البصيرة والاستقامة ♦ **الإمام الخامنئي (دام ظله)**
- معرفة الحرب الناعمة من وجهة نظر قائد الثورة الإسلامية ♦ **علي محمد نائيني**
- سنن التطور الاجتماعي في التاريخ ♦ **محسن الأراكي**
- الغرب: الشباب في معركة المصير ♦ **الإمام الخامنئي (دام ظله)**

الغرب: الشباب في معركة المصير

إنّ البشريّة اليوم بأمسّ الحاجة لقضيّتين مهمّتين: إحداهما إثارة الأفكار، والثانية تهذيب الأخلاق؛ فلو تأمّنت هاتان المسألتان، فسوف تتأمّن المطالب القديمة للبشريّة؛ وسوف تتأمّن العدالة والسعادة والرفاه الدنيويّ.

الإمام الخامنئي (حفظه الله)


ISBN 978-614-440-062-3

